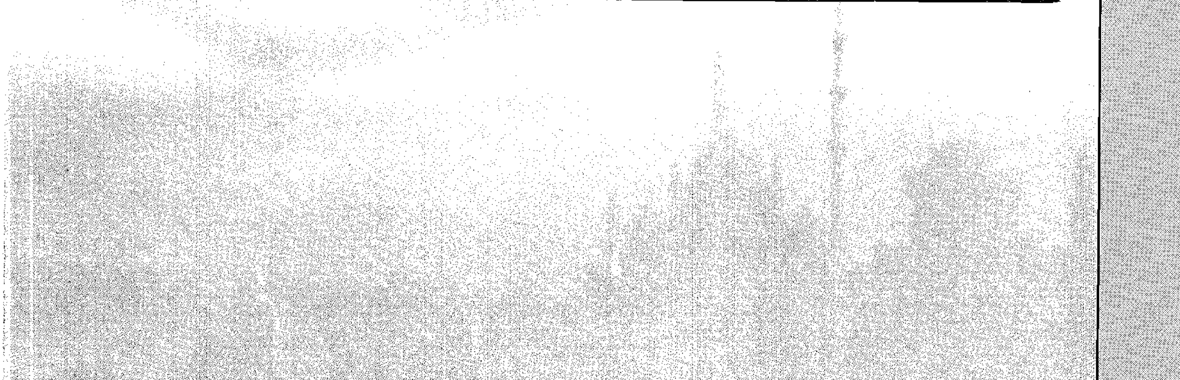
التطوّر التاريخي لسياسة

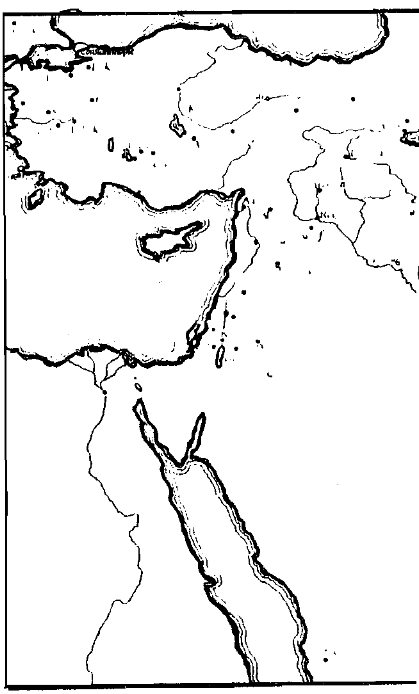
دراسة وثائقية وتحليلية

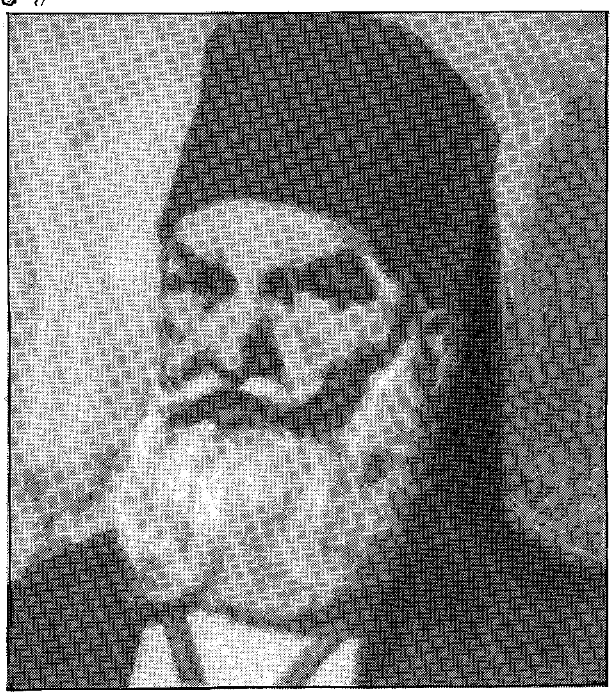


لاحظ الباحث من خلال دراساته في تاريخ العالم العربي الحديث ، ان هناك اراء تتردد حول توسعات «محمد على» حاكم ولاية مصر ، في املاك الدولة العثمانية ، التي كانت لها السيادة الشرعية ـ وقتذاك ـ علي ـ مصر ـ وعلى معظم العالم العربي الحالي .

وقد تضاربت الاراء فيما بينها ، حول الاسباب التي ادت الى تلك التوسعات ، وعن الاهداف منها ، وشدت انتباه الباحث ، مسألة الخليج العربي بالذات ، فرغم ان بعض بلاده ، كانت لا تدور في فلك الدولة العثمانية ، الا انه كانت هناك تطلعات واهتمامات من جانب محمد على تجاه الخليج ، الامر الذي شكل علامة استفهام ، وبالتالي اخذ المؤرخون الذين تناولوا هذه المسألة أو اشاروا اليها بصورة أو بأخرى ينظر كل واحد منهم الى المسألة بمنظار وبمفهوم قد يتفق او يختلف مع غيره .

محمّد علي تجاه الخليج العربي





دكتور
تمام همام تمام

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
المشارك بجامعة القاهرة
والمعار الى جامعة البحرين

والمعروف أن محمد على كانت له سياسة خارجية ، يرى الباحث انها مرت بعدة ادوار ، ولذلك نتساءل ، هل كانت تطلعات محمد على الى الخليج العربي ، نوعا من الاستعمار ، يشبه ذلك الذي اوجده الاوروبيون منذ بداية العصر الحديث خارج اوروبا ، ام ان هناك دوافع جعلته ، يتطلع الى تلك الجهات ، رغم بعدها عن مركز قيادته في القاهرة ، أم ان تطلعه اليها ، كان وليد الظروف وقتذاك ، حين كان في شرق الجزيرة العربية ، أم ان هناك اسبابا اقوى من كل ذلك دفعته للاهتمام بهذه المنطقة .

وسرعان ماشكلت هذه التساؤلات وغيرها ، قضية ، امام الباحث رأى ان لها مكانا من الاهمية في تاريخ العالم العربي الحديث ، عامة وفي تاريخ الخليج خاصة ومن ثم فهي جديرة بالدراسة الاكاديمية والتحليلية ، حتى تظهر لنا الحقيقة المجردة ، من اي غرض ، من وراء تطلعات هذا الحاكم ، وهل كانت محاولتة توحيدية لتلك الجهات ، وما هو موقعها في سياسة القاهرة وقتذاك ، وهل كانت هناك عقبات ، وما هي الاثار التي ترتبت على تلك التجربة .

وقد عالج الباحث هذه القضية ، برؤية ، يرجو أن تكون جديدة ، فقد اخضع الوثائق الرسمية وغيرها مما جمعه من مادة علمية ، للدراسة التحليلية ، في اطار منهج البحث التاريخي ، ويأمل ان يكون قد كشف في هذه الدراسة ، عن الحقيقة التاريخية ، بروح محايدة ، وان تكون هذه الدراسة اسهاما في صناعة تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، من ناحية ، وفي اثراء المكتبة العربية من ناحية اخرى .

موقع الخليج العربي :

يقع الخليج العربي في قلب العالم القديم بين المحيط الهندي والبحر المتوسط ، وهو بحر هامشي أو بحر داخلي ، يشغل الرصيف القاري ، ولهذا كان قليل العمق ، اذا قيس بأعماق خليج عمان والخلجان الاخرى ، ويتصل الخليج العربي بخليج عمان ، عن طريق مضيق «هرمز» الذي يبلغ اتساعه ٦٠ كم ، وهو بذلك يشكل الذراع اليمنى للمحيط الهندي [(١)] .

ويمتد الخليج العربي من دائرة العرض ٢٤° شمالا الى دائرة العرض ٣٠,٣٠° شمالا ، أي أنه يمتد ستا ونصفا من دوائر العرض ، ويمتد من خط الطول ٤٨° شرقا الى ٥٦,٢٠° شرقا اي انه ذو محور يميل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بمقدار ثمان درجات .

وتبلغ مساحة الخليج ٢٢٦,٠٠٠كم^2 ، ويمتد ساحله الغربي من رأس مسندم حتى شط

العرب (١٥٠٠ كم) ، اما الساحل الشرقي فيمتد (١٠٦٠ كم) من مضيق هرمز جنوبا حتى شط العرب شمالا .

ويتراوح عرض الخليج بين ٢٠٠ و٣٠٠ كم ويبلغ طوله ١٠٠٠ كم[٢]

واعمق اجزاء الخليج ، يتجاوز مائة متر في الغالب ، وبه مناطق واسعة ، لا يتجاوز عمقها ٤٠ مترا ، ويوجد هذا العمق القليل فيه الى مسافة ١١٠ كم من ساحله عند مصب شط العرب . كما يوجد ايضا في مناطق اخرى في داخله مثل المناطق التي تكتنف جزر البحرين ، وعلى العموم فان اعمق اجزائه يوجد بالغرب من مضيق هرمز ، ويزداد العمق كلما اتجهنا من رأس الخليج الى هذا المضيق[٣] .

وقد ادت العوامل الجغرافية ، مثل الموقع والتضاريس والمناخ ، والموارد الاقتصادية ، الى جعل الخليج ، مركزا تجاريا وممرا مائيا عالميا ، منذ اقدم العصور ، لعالم التجارة والحرب واخيرا السياسة . الامر الذي طبع تاريخ بلاد الخليج ، ونشاطها ، سواء كان تجاريا او حربيا او سياسيا ، بطابع خاص .

فيمتد الخليج العربي ومدخله خليج عمان في اتجاه شمالي غربي ، اذ ان محوره يأخذ هذا الاتجاه ، موازيا لمرتفعات زاجروس ، كما ان نهرى دجلة والفرات اللذين يلتقيان عند «القرنه» مكونين مجرى مائيا واحدا هو شط العرب الذي يصب في الخليج قرب ميناء «الفاو» يجريان في اتجاه شمالي غربي ايضا ، ليقترب نهر الفرات من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، فلا تزيد المسافة بين مسكنه على نهر الفرات وبين هذا الساحل على ١٩٠ كم .

وقد جعل امتداد هذين المسطحين المائيين «الخليج وعمان» وكذلك نهرى دجلة والفرات في هذا الاتجاه الشمالي الغربي ، جعل الخليج العربي طريقا مائيا للسلع التجارية بين الشرق والغرب . كما ان الخليج كان ملتقى طرق القوافل البرية القادمة من الصين ومن منطقة ما وراء النهر وايضا ملتقى طرق القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية[٤] .

وقد فرض موقع الخليج بين الاقليم المدارى «شرق افريقيا وشبه القارة الهندية» في الجنوب ، وبين الاقليم المعتدل في الشمال «دول حوض البحر المتوسط» ، وهذان الاقليمان يختلفان من حيث المناخ ، ويختلفان من حيث الانتاج النباتي والزراعي ، ثم طلب دول البحر المتوسط لانتاج الاقليم المداري من التوابل والمر والبخور وغيرها - فرض - على سكان الخليج العربي ، ان يقوموا بالوساطة التجارية بين الاقليمين السابقين

وبمعنى اخر العمل كوسطاء للملاحة بين الشرق والغرب[٥] .

وبالاضافة الى ذلك ، يتميز الخليج العربي باهمية استراتيجية بالغة الاهمية فبحكم موقعه في قلب العالم القديم ، اصبح من اليسير على من يتمكن من السيطرة عليه ، أن يسيطر بالتالي على جنوب غرب اسيا وشبه القارة الهندية[٦] وقد فطنت شركة الهند الشرقية البريطانية لاهمية موقع الخليج [٧] ، ولم يأت القرن التاسع عشر ، حتى كانت انجلترا تفرض هيمنتها العسكرية عليه ، والسيطرة على كل مقدراته ، لتأمين طرق تجارتها مع الهند ، وحماية مصالحها في الشرق[٨] .

الأدوار التي مرت بها سياسة محمد على الخارجية :

يستحسن قبل ان ندخل في جوهر الدراسة ، ان نلقى نظرة سريعة ، على سياسة محمد على الخارجية ، لنقف على خطوطها العامة ، وحتى نتمكن من معرفة ما اذا كانت له تطلعات تجاه الخليج العربي من عدمه ، وبمعنى اخر ، هل كان الخليج ضمن خططه السياسية ، ام ان التطلع اليه كان وليد الظروف التي ساقته الى تلك الجهات .

في الوقت الذي تولى فيه محمد على باشا حكم مصر في عام ١٨٠٥ م كان الموحدون ، يزيدون من توسعاتهم في شبه الجزيرة العربية ، وكانت الدعوة التى رفعوا شعارها وهي الدعوة الوهابية - التوحيدية - التي تطالب بتنقية التعاليم والمفاهيم الاسلامية من الشوائب التي علقت بها ، والعودة بالاسلام الى بساطته الاولى ، كانت قد ازدادت قوة وانتشارا ، فقد تخطت توسعات الموحدين ، حدود نجد ، واطلت على الخليج العربي ، ووصلت الى جنوب العراق ، وبسطت نفوذها على الحجاز ، ورنت بأبصارها الى الشام[٩] .

وكانت حركة الموحدين ، ضربة وجهت الى مكانة الدولة العثمانية وهيبتها ، خاصة في البلاد الاسلامية ، التي كانت تدين لها روحيا ، ولا تتبع لها سياسيا .

ومما زاد من تحرج الموقف ، اعلان الموحدين زوال السيادة العثمانية عن الحرمين الشريفين ، ومنع الامير «سعود بن عبدالعزيز» قوافل الحج من الشام ومصر والعراق ، من الوصول الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، وكان هذا الاجراء ، له من الخطورة بمكان ، فقد ترتب عليه ان تشكك المسلمون في مقدرة السلطان العثماني - خادم هذين الحرمين على تأمين الطرق المؤدية الى الاماكن المقدسة .

وبعد ان فشل كل من ولاة بغداد ودمشق في الوقوف في وجه الموحدين او

محاربة الدعوة الجديدة ، ولما كانت دولة الخلافة العثمانية يهمها الى حد بعيد ، الاحتفاظ بسيادتها على الحجاز ، حيث وجود الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، حتى تظل مكانتها الروحية قائمة في العالم الاسلامي [١٠] ، تطلبت منها الضرورة ، ان تتطلع الى والي مصر ، رغم ما تحمله من مرارة وكراهية ضده ، فهي لم تنس ان مجيئه الى الحكم ، كان رغما عنها بسبب قوة الارادة الشعبية في مصر ، التي جاءت به الى كرسي الولاية ، واضطرت الدولة ان توافق على التعيين ، وحفاظا على مكانتها ، قالت ان التعيين تم بناء على رغبة الرعية وتمسكها به[١١] .

فأرسلت الدولة اليه اوامر التكليف منذ عام ١٨٠٧ بالتوجه الى بلاد العرب ، للقضاء على قوة الموحدين ، واعادة مكة والمدينة الى حكم السلطان[١٢] ، الذي يعتبر الرمز الاكبر لمعظم العالم الاسلامي .

ويبدو ان السلطان العثماني تغاضى عن الخلافات التي كانت بين الدولة وبين محمد على وذلك لهدفين هما :

١ ـ القضاء على حركة الموحدين واعادة سلطانه على بلاد العرب .

٢ ـ من الممكن اضعاف قوة محمد على الصاعدة عن طريق خوضه المعارك مع الموحدين .

وعلى ضوء ذلك ، يتضح لنا ، أن مهمة محمد على ، كانت فتح بلاد العرب للدولة العثمانية من جديد ولحسابها ، بل وكان بقاؤه هو شخصيا على ولاية مصر متوقفا الى حد كبير على نجاحه في هذه المهمة .

ورغم الاعتذارات التي كان يسوقها للباب العالي ، والتي تتضمن عدم قدرته المالية ، او تخوفه من والي الشام «سليمان باشا» او خوفه من تطلع الدول الاوروبية الى مصر [١٣] وكان اقربها الى ذهنه ، حملة فريزر الانجليزية الفاشلة والتي تم اجلاؤها عن الاسكندرية في ١٩ سبتمبر ١٨٠٧[١٤] . وغيرذلك من الامور التي كانت في نظره ، تستوجب عدم الاندفاع ومحاربة الموحدين . الا انه ، بسبب الضغوط عليه من جانب الدولة العثمانية ، استجاب في نهاية الامر ، وسير حملة بقيادة ابنه «طوسون» عن طريق السويس الى الحجاز في اغسطس ١٨١١ ، لتنفيذ هذه المهمة التي القيت على عاتقه[١٥] .

والواقع أنه بجانب الاعتذارات التي ساقها محمد على الى الباب العالي ، كانت هناك عوامل اساسية ، لم يستطع الكشف عنها للسلطان العثماني ، ولعل اهمها ما يلي :

١ ـ كانت سلطته في مصر حتى ذلك الوقت لا تزال مزعزعة الاركان ، لان اختياره واليا على البلاد ، كان ـ كما ذكرنا ـ على غير رغبة الباب العالي ،

ومـن ثـم كـان اوليـاء الامـور في الاستانة ، يتحينون الفرص للتخلص منه .

٢ ـ كان المماليك لا يزالون يتربصون للاطاحة به ، حتي يستعيدوا نفوذهم وسيطرتهم التي كانت لهم قبل قدوم الحـملة الفـرنـسيـة عـلى مصر والشام(١٦) .

٣ ـ حدوث توترات بينه ـ اي محمد على ـ والزعامات الدينية والشعبية في مصر .

٤ ـ ان الموقف في اوروبا والصراع بين فرنسا وانجلترا ـ خاصة ـ كـان ينعكس عـلى المشـرق الاسـلامي ، وخاصة مصر بالذات وواليها الجديد من جانب ، ومن بقايـا المماليـك من جـانب اخـر ومن الدولة العثمـانيـة نفسها من جانب ثالث .

فقد تحسب محمد على لكل هـذه العوامل ووضعها في عين الاعتبار ومن ثم كـان يقـدم الاعتـذارات للبـاب العالي ، حتى لا يؤخذ هو على غرة .

فلما تمكن من التخلص من اعدائه في الداخـل ، سـواء من الزعـامـات الديـنيـة او الشـعـبيـة او مـن المماليك(١٧) . بجانب ملاحقـة الباب العالي لتجريد الحملة العسكريـة الى بلاد العرب ، رأى أن يعمل على كسب ود السـلطان ووجـد انـه ليس من المستساغ ان يقدم اعتذارا يحمل اي معنى للرفض ، لأنـه اخـذ في اطار سياسته العـامة ، يتجـه الى تحقيق فكرته الرامية الى تكوين دولة حديثة .

ويبدو ان محمد على ، ادرك حقيقة الوضع السياسي لمصر ، عقب الحملة الفرنسية ، ومـدى تأثـرها بتيـارات السيـاسـة الاوروبيـة ، وانعكـاس الصراع بين الدول الاوروبية ، ليس على مصر فقط ، بل على العالم العربي كله ، ولعله تيقن ببعـد نظره ، وهـو الرجـل الداهيـة ، ان حـالة الدولة العثمـانيـة ، من الضعف ، بحيث لا يمكنها الاحتفاظ بأملاكها طويلا . اذا لم تفعـل شيئـا يجـدد من حيـويتهـا ويعيد لها قوتها ، فقد تغيرت الظروف الدولية ، ولم يعد القرن التاسع عشر ، على غرار القرن السادس عشر ، الذي كـانت فيه الدول الاوروبيـة نفسهـا تعمل الف حساب للدولة العثمانية ، فقد رأى محمد على ان تلك الدول بما فيها روسيا القيصرية ، لابد ان تعمل عـلى تمـزيق امـلاك دولة الخـلافـة العثمـانيـة ، التي كـان من ضمنهـا بـطبيعـة الحـال ، معـظم العـالم العربي(١٨) .

لذلك اخـذ محمد عـلى ، ينشط ، ليستفيد من مصر بالذات ، ربما لثقلها الحضـاري وبعـدهـا التـاريخي ، وكثـافتهـا السكـانيـة ، ومـواردهـا الاقتصـاديـة وان يكـون منهـا دولة حديثة قوية ، عسكريا واقتصـاديا ، ليتمكن بهـا من مقاومـة اي غزو من الخارج ، وحماية او فتح اقاليم جديدة في اسيا وافريقيا .

وكان يهدف من وراء ذلك وهو بهذه القوة ، ان يقف في وجه الضغط الاستعماري الاوروبي الذي صار يزحف على العالم الاسلامي ، لكن يجب ان نقول منذ البداية ان محمد على ، لم يكن يتطلب منه هذا العمل بالضرورة ، ان يقضي على الدولة العثمانية نفسها ، ويتولى هو السلطة ، اذ كان يمكن ان يبقى على الاسرة الحاكمة العثمانية ، خاصة وان الخليفة ـ الرمز الاكبر لمعظم العالم الاسلامي ـ من ابناء تلك الاسرة ـ ويوجه سياستها بالطريقة التي تؤدي الى تجديد شبابها وقوتها ، كما ان ذلك لم يكن يتعارض مع امله ـ اي محمد على ـ في الحصول على نوع من الاستقلال ، داخل نطاق الدولة ، يشبه ذلك الذي تتمتع به ولايات شمال افريقيا[١٩] .

وعلى ضوء ذلك ، نستطيع القول ان سياسة محمد على الخارجية مرت بثلاثة ادوار هي :

الدور الاول :

ويمتد من عام ١٨٠٥ م حتى موقعة نوارين في عام ١٨٢٧ ، وفيه انصرفت جهود محمد على لاستمالة السلطان العثماني ، صاحب السيادة الشرعية على مصر ، وظل يظهر له كل انواع الخضوع ، ويستجيب لكل مطالبه من اموال وغلال واخضاع الاقاليم الثائرة . وكان محمد على يهدف في هذا الدور الى ان يثبت مركزه في مصر ، والمحافظة على استقراره ، حتى يتمكن من اعادة بناء مصر على اسس حديثة ومحاولة ان يزيد من رقعتها على حساب املاك الدولة نفسها ولكن في اطارها .

ويلاحظ ان السلطان العثماني ، رغم انه كان يحبذ انتصارات محمد على في الاقاليم المتمردة على الدولة ، الا انه في قرارة نفسه لم يكن مرتاحا من تصاعد قوة ذلك الوالي ، وظهوره بمظهر الفارس الاسلامي ، في ظل وجود الخلافة في بنى عثمان ، خشية ان يحدث منه مالا تحمد عقباه ، لذلك سنرى ان العلاقات بين الطرفين سرعان ما تتخذ طريقا اخر ، وهو الخلاف ، وتنتهي الى المواجهة المباشرة في الدور الثاني .

الدور الثاني :

ويمتد من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ ، وفيه يحدث النزاع مع السلطان العثماني ، وتدور حروب بين الطرفين على ارض الشام ، ويشتط محمد على بالتفكير ، كلما اشتدت به المضايقات من جانب الاستانة وتسد الابواب في وجهه ، لايجاد الحلول التي كان يتطلع اليها ، الى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وتأسيس دولة حديثة ، من مصر وما يمكن ان يضم اليها من البلاد العربية ، الامر الذي كان يزعج السلطان ويقلقه الى حد كبير ، ومن ثم كان يتمسك بسيادته الشرعية على مصر ويعمل على تأكيدها ، فيبدو ان

انسلاخ الولايات الاوروبية عن الدولة العثمانية ، جعلها اكثر تشبثا بما بقي لها من الولايات الاسلامية ، خاصة مصر ، فكان السلطان يدرك جيدا ، ان ضياع مصر الناهضة القوية، منه سوف يجعلها ـ أي مصر ـ تتطلع الى جاراتها العربيات ، في وقت ضعفت فيه دولة الخلافة ، واتجهت الاطماع الاوروبية الى املاكها[٢٠] الامر الذي ترتب عليه ، ان تكتلت الدول الاوروبية ، وعلى رأسها انجلترا ، للقضاء على قوة مصر الاسلامية الصاعدة ، تحت ستار المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ومن ثم وجهت الى محمد على ضربة كسرت عموده الفقري ، ممثلة في معاهدة لندن (١٨٤٠) وانتهى الامر بان سحب محمد على قواته من الشام وشبه الجزيرة العربية ، وابقاء مصر ولاية في اطار الدولة العثمانية ، وسريان المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين الباب العالي وتلك الدول في مصر ، وكان من بينها معاهدات الامتيازات الاجنبية والمعاهدة التجارية «معاهدة بالطة ليمان» التي كانت تهدف للقضاء على سياسة الاحتكار التي اتبعها محمد على في مصر والسودان وسوريا واليمن[٢١] .

الدور الثالث :

ويمتد من ١٨٤١ الى ١٨٤٨ وفيه عاش محمد على مجروحا منهوك القوى ، بعد ان تبددت احلامه ، واقتصر نشاطه السياسي على مصر والسودان[٢٢]

وصول محمد على الى شرق الجزيرة العربية واطلاله على مياه الخليج العربي :

ذكرنا انه ترتب على حركة توسع الموحدين في شبه الجزيرة العربية ، والتطلع الى الشام والعراق ، ان دب الخوف لدى حكومة السلطان العثماني ، وبعد ان فشل كل من ولاة العراق والشام ، في صد خطر حركة الموحدين ، طلبت الدولة العثمانية من واليها في مصر «محمد علي» ان يوجه جيشا للقضاء على هذه الحركة واعادة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة الى سلطة الدولة[٢٣] .

حدث ذلك في فترة كانت تتواكب مع الدور الاول من سياسة محمد على الخارجية التي تتسم بالطاعة والولاء الكامل للسلطان العثماني ، فوجه قواته الى بلاد العرب بقيادة ابنه «طوسون» . وحين لاحظ محمد على ، ان تلك القوات ـ رغم انتصاراتها على الموحدين ـ لم تحقق الهدف كاملا ، والذي يتلخص في ان يدفع الامام «سعود بن عبدالعزيز آل سعود» كل تكاليف الحملة العسكرية على الحجاز ، واعادة ما كان الموحدون قد اخذوه من الحجرة النبوية الشريفة ، بل وان يذهب الامام بنفسه الى

القاهرة لمعالجة القضية مع حاكمها[٢٤] الامر الذي جعل الامير سعود ، يعتبر ان هذه الشروط اهانة له ، فأخذته حميته العربية ، وصمم على رفضها ، واعلن استعداده لمواصلة الحرب . فاضطر محمد على والحالة هذه ، ان يعد نفسه للذهاب شخصيا لاخضاع قوة الموحدين[٢٥] .

ويبدو ان هناك عوامل دفعت محمد على للمخاطرة والذهاب بشخصه الى بلاد العرب ، لعل منها ما يلي :

١ ـ ان يثبت للباب العالي انه جدير بالتكليف من قبل الدولة .

٢ ـ عدم انهيار سمعته وقوته ، كما حدث لغيره من ولاة العراق والشام .

٣ ـ المحافظة على اسمه الذي صار يتردد في العالم الاسلامي ، بانه يحارب لتأمين طرق الحج ، بعد ان توقف قدومه من بعض الجهات كمصر والشام والعراق ، وكذلك حماية المقدسات الاسلامية في الحجاز[٢٦] .

٤ ـ ان مصر جديرة بان تنال من الامتيازات ، كما هو الحال بالنسبة لولاية الجزائر في شمال افريقيا[٢٧] .

وقبل ان يرحل الى بلاد العرب ، ارسل الى رؤساء الجند ، يطلب منهم الصمود والمداومة على الصلاة ، حيث قال « .. كونوا يدا واحدة ، وصلوا اوقاتكم الخمس ، فمكانكم مكان اصلاح واستغفار ، ينصركم الله ويثبت أقدامكم»[٢٨] .

وفي ٢٥ اغسطس ١٨١٣ تحرك ـ اي محمد على ـ من السويس الى جده ، بعد ان اناب عنه ولديه اسماعيل وابراهيم في ادارة شئون البلاد[٢٩] .

هذا وقد دارت في البداية احتكاكات بين محمد على والموحدين ، كان النصر فيها للموحدين ، الا ان الحظ خدم محمد على ، بوفاة الامام سعود بن عبدالعزيز في ابريل ١٨١٤ ، وبوفاته فقد الموحدون ، اعظم مساعد واكبر بطل ، بلغت في عهده الدولة السعودية الاولى ، شأوا بعيدا لم تبلغه من قبل .

لكن شاءت الظروف ان لا يستمر محمد على كثيرا في بلاد العرب ، فقد جرت حوادث في تلك الفترة ، اضطرته ان يعود الى مصر منها :

١ ـ علمه بهروب نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة «البا» ودخوله باريس في ٢٠ مارس ١٨١٥ ، وهروب الملك لويس الثامن عشر الى الحدود البلجيكية[٣٠] فخشى محمد على ـ ان تصبح مصر هدفا لحملة فرنسية جديدة ، لانه كان يدرك ان الصراع في اوروبا ينعكس على مصر بطريق مباشر او غير مباشر .

٢ ـ شكوكه في مسألة انعام السلطان العثماني بالباشوية على احد المماليك في مصر ، وكان يدعى «لطيف باشا» ولم يسبق للسلطان ان انعم بها على احد بعد تولية محمد على الحكم غير

اولاده[٣١] .

على اية حال عاد محمد على الى مصر عن طريق قنا ووصل الى الجيزة في ٢٣ يونيو ١٨١٥ ، واستمر طوسون في مباشرة العمليات الحربية التي كانت تتقدم تجاه الدرعية ـ عاصمة الموحدين ـ ولكنه توقف بسبب نقص المؤن والذخائر ، وقبل المفاوضة مع الامير «عبدالله بن سعود» ، وعقدت شروط الصلح في يونيو من ذات العام[٣٢] ، وقفل طوسون عائدا الى مصر ، حيث توفي بالاسكندرية .

وسرعان ما رفض الامير عبدالله بن سعود الشروط التي فرضها عليه محمد على الامر الذي ترتب عليه ان استعد الطرفان لاستئناف القتال[٣٣] .

وقد اختار محمد على لقيادة الجيش في هذه المرة ابنة «ابراهيم باشا[٣٤]» الذي تمكن من الوصول الى الدرعية ، وضرب الحصار حولها في السادس من ابرايل ١٨١٨ ، فاضطر الامير عبدالله بن سعود ، ان يستسلم للامر الواقع ، بعد ان دافع عن عاصمة الموحدين دفاعا بطوليا مستميتا ، وتسلم ابراهيم باشا العاصمة في ٩ سبتمبر ١٨١٨ ، وبهذا تكون الدولة السعودية الاولى قد سقطت لحساب الدولة العثمانية ، واطلت القوات المصرية على مياه الخليج العربي ، بعد أن سيطرت تلك القوات على الاحساء والقطيف[٣٥] .

وهنا توقفت فتوحات محمد على ، بل وصدرت الاوامر الى ابراهيم باشا بالانسحاب من شرق الجزيرة العربية[٣٦] ، والعودة الى مصر ، التي وصلها في ديسمبر ١٨١٩ ، وكان قد بدأ بتنفيذ السياسة الجديدة التي رسمها والده لحكم البلاد ، فعين ابن اخته «احمد يكن باشا» محافظا على مكة ، وحاكما على الحجاز ، واليه يرجع جميع المسئولين الاخرين في شئونهم[٣٧] .

العوامل التي ادت الى الانسحاب من شرق الجزيرة العربية ١٨١٩

لعل هناك من يتساءل لماذا توقفت قوات محمد على ، بعد ان اطلت على مياه الخليج ، فهل كانت هناك خطة مسبقة في القاهرة ، سار ابراهيم على هديها ، أم هناك ظروفا دعته للانسحاب ، خاصة بعد ان سيطرت قواته على الاحساء والقطيف ، رغم الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي تتميز بها تلك الجهات .

في الواقع قبل ان نناقش هذه القضية ، يستحسن ان نعرف كيف تمت السيطرة على الاحساء والقطيف اولا ، وهل كان ذلك من العوامل التي ادت الى الانسحاب .

تشير الوثائق الرسمية ، الى ان فتح الاحساء والقطيف ، واعادتهما لسيادة الدولة العثمانية ، كان في ذهن



ابراهيم باشا ، قبل ان تسقط الدرعية نفسها ، وذلك لاسباب منها .

١ ـ اهمية هذه البلاد لاطلالها على الساحل الغربي للخليج ، مما يكسبها ميزة استراتيجية خطيرة . فضلا عن مواردها الاقتصادية من زراعة وغوص ، وتعاملها التجاري الواسع مع بلدان الخليج وغيرها .

٢ ـ ما يمكن ان تقدمه من مساعدات للقوات المصرية .

٣ ـ تشجيع «الخوالد» حكام الاحساء السابقين ، لابراهيم باشا ، على فتح تلك البلاد ، على ان يكونوا وكلاء عن محمد علي في حكمها[٣٨] .

٤ ـ كان ابراهيم باشا ، قد تلقى رسالة من والده ، تشير الى ان السلطان العثماني ، كلفه باعادة فتح القصيم ، وما حولها وميناء القطيف والاحساء ، وادخال تلك الجهات في طاعة السلطان[٣٩] .

ولما كان ابراهيم باشا مشغولا في تلك الفترة بحصار الدرعية ، رد على والده بانه «بعد فتح الدرعية بتوفيق الله تعالى ، يكون ضبط الحسا وميناء القطيف ، وانتزاعهما من يد الخوارج ، من المسائل الطبيعية ، كما انه سيحصل العلم بالتمام ، بكل امر من امور الاقاليم ، وبخصوص وضع البلد في الحالة الموجبة للضبط والربط ، سيفاد طرف ذاتكم الولية النعم بالتفصيل عما ترغبونه دولتكم ، من أوجه النظام ، وذلك على الوجه الذي اكون وقفت عليه ، بعد انهاء مسألة الدرعية[٤٠] » .

٥ - كانت عمليات الفتح في حد ذاتها ، مسألة عادية ، لأنه لم تكن هناك نقطة محددة تتوقف عندها .

لذلك بعد ان سقطت الدرعية ، كان الموقف عاديا ومهيأ ، ان ينظر ابراهيم باشا الى تلك البلاد ، فأمد محمد وماجد ، ولدي «عريعر بن دجين» من زعماء الخوالد ، بقوة عسكرية ، لطرد «فهد بن عفيصان» عامل الموحدين من الاحساء .

وحين علم ابن عفيصان بهذه الاخبار ، فرهاربا الى البحرين ، وبعد ان تم الاستيلاء على الاحساء ، توجه الاخوان «محمد وماجد» الى القطيف وفرضا الحصار عليها من ناحية البر ، بينما انصبت نيران مدفعية اسطول «ارحمة بن جابر الجلاهمة» عليها من ناحية البحر ، وانتهى الامر ، بأن رفعت المدينة راية الاستسلام باسم القوات المصرية ، وسيطر الخوالد على اقليم الاحساء في اطار الادارة المصرية[٤١] ، ومن ناحية اخرى تمكن «ارحمة بن جابر» من اعادة بناء قلعته السابقة في الدمام ، بعد ان وافق له ابراهيم باشا على ذلك[٤٢] .

وهكذا بينما كانت قوات ابراهيم باشا مستمرة في اداء مهامها ، وصلت الاوامر من القاهرة ، تطلب اليه الانسحاب من شرق الجزيرة العربية[٤٣] وبالتالي اسندت ادارة الاحساء الى الخوالد من قبل الدولة العثمانية ، على ان تتبع والى العراق من النواحي الادارية[٤٤] .

وهنا تتضارب اراء المؤرخين حول دوافع الانسحاب المفاجيء ، فمنهم من يرى انه كان بضغط من الباب العالي ، على حاكم مصر ، ويبررون ذلك ، بان الادارة المصرية في الاحساء ، ارتكبت بعض الاخطاء ، فقد ارسل ابراهيم باشا ، محمد بك كاشف ومعه مائتان واربعون شخصا ، وامرهم بالاستيلاء على ما في بيت المال ، وما كان لآل سعود من اموال وسلاح وخيل ، وقد نفذوا ذلك الامر ، وزيادة على ذلك استولوا على اموال كل شخص كانت له علاقة مع الموحدين ، وقتلوا قاضي الاحساء «الشيخ عبدالرحمن بن نافع» وجميع

هيئة الوعظ والارشاد التابعة للموحدين[٤٥] الامر الذي جعل الخوالد ، يهرعون الى «داود باشا» حاكم العراق[٤٦] حتى لا تلصق بهم تهمة تلك الاخطاء ، فاستثمر والي العراق هذه المسألة ، واخذ يستثير الباب العالي ، على ان تعود الاحساء ، تحت اشرافه ، كما كانت قبل ان يستولى الموحدون عليها ، وكان في الوقت نفسه ، يقدر خطورة قوات محمد على ومدى قوتها ، وهي تلك التي اخضعت الدولة السعودية الاولى ، ولعله تصور - اي والي العراق - انه اذا تركت تلك القوات تواصل نشاطها في شرق الجزيرة العربية ، فانه لابد ان تتطلع الى العراق وتهدد حكمه .

والواقع ان داود باشا كان يعاني في تلك الفترة من تهديدات داخلية ، حيث اخذت القوى العربية ، منذ اواخر عام ١٨١٨ ، في التجمع والعمل ضده ، مستغلة فرصة الاضطرابات الكردية ، للتخلص من الحكام المماليك في العراق ، وقامت بالتعرض للسفن المارة بين بغداد والبصرة ، بهدف اضعاف قدرات هؤلاء الحكام ، وفقد ثقة الجماهير بهم ، والعمل على عزلهم من حكم العراق . وسرعان ما اتسع نطاق هذه الحركة العربية ، وشمل نشاطها وسط وجنوب العراق وامتدت الى منطقة الجزيرة بمساعدة الجنود الاكراد ، ومما زاد الطين بله ، رواج اشاعات ، مفادها ان حاكم «كرمانشاه» الميرزا محمد على يتحرك في الحدود العراقية وكان معتمد الدولة الفارسي قد ارسل كتابا الى داود باشا يتضمن ان ولاة بغداد السابقين ، كانوا يبعثون برسائل تهنئة وتبريك الى الشاه ، او وكلائه ، بمناسبة حلول الاعياد ، او عند وصول الفتوحات ، مع القيام بمراسم الصداقة والمودة ، في حين امتنع داود باشا عن اتخاذ هذه الاجراءات منذ توليه مقاليد الامور ، مما اثار استياء حكومة الشاه . وبمناسبة نية الشاه زيارة «السلطانية» القريبة من حدود «شهر زود» . ولتلافي ما سبق ، حبذ معتمد الدولة ، ان يقوم حاكم بغداد باجراء المراسم المعتادة ! وهدده باوخم العواقب في حالة الامتناع عن ذلك .

فأسرع داود باشا وافاد الباب العالي بمضمون هذه الرسالة ، فأدرك الاخير ، ان الفرس ينوون الهجوم على العراق ، لذا صدرت الاوامر الى والي الموصل ووالي حلب بالاستعداد ، والى ولاة ادرنه ومرعش وسيواس بالتهيؤ ورفع حالة الطوارىء ، تحسبا لما يسفر عنه الغد بالنسبة للعراق .

ويبدو ان داود باشا ارتاب في هذه الاستعدادات الواسعة وخشى ان تؤدي الى زوال حكمه ، ولذلك فضل اعطاء تنازلات للفرس ، وقدم لهم ما

طلبوه من ضمانات ، ثم اسرع باعلام الباب العالي ، بانتهاء الازمة وزوال الاسباب الموجبة للاجراءات الاستثنائية ، مشيرا بصورة غير مباشرة الى عدم حاجته للنجدات العسكرية من الايالات العثمانية المجاورة(٤٧) .

وعلى ذلك بعد ان خلص من تلك الازمة ، تطلبت منه مصلحته ان يبعد الوجود المصري من شرق الجزيرة العربية ، الذي تم في اواخر يوليو ١٨١٩ . والواقع انه رغم اهمية رأى هؤلاء المؤرخين ، الا اننا نرى ان مسألة الانسحاب تحتاج الى وقفه ، لما لها من اهمية في سياسة محمد على الخارجية ، ولانها تدخل في نطاق المرحلة الاولى من مراحل تطلعاته في «الخليج العربي» .

فقد ذكرنا ، ان الدور الاول من سياسة محمد على الخارجية ، التي اتسمت بالولاء الكامل والخضوع الكلي للسلطان العثماني ، امتدت حتى عام ١٨٢٧ وقد واجهته في هذه الفترة بالذات ، مشاكل ، تعد اخطر من قضية الموحدين ، بالنسبة لمركزه الشخصي ، ونعتقد انه لولا ضغوط الدولة العثمانية عليه للذهاب الى شبه جزيرة العرب ، لكان قد حصر كل نشاطه واهتمامه بتلك المشاكل التي كانت موجهة اليه اساسا ، وليتفرغ لاعادة بناء مصر على اسس واساليب حديثه .

فبجانب اعدائه من الداخل - رجال الدين والزعامات الشعبية - كان بعض الامراء من المماليك قد لجأوا الى السودان(٤٨) ، وكونوا لهم ما يشبه الامارة في «دنقلة» ورحل جماعة منهم الى كردفان وسنار ، وصاروا يكونون الجنود من السود ، ويقطعون طرق القوافل مع مصر ، ومن ثم اصبحوا والحالة هذه ، مصدر قلق وتهديد ضد محمد على نفسه(٤٩) .

ومن ناحية اخرى كان محمد على يرقب تحركات هؤلاء المماليك في السودان ، وتطلعهم الى الامير «سعود بن عبدالعزيز» ، ولعلهم كانوا يريدون عقد محالفة معه ضد محمد علي ، كما لا نستبعد ان يكون محمد على ، أخذ احتياطاته من ان يتعاون المماليك مع الحبشة ، وقيام دولة مملوكية تسيطر على حوض النيل الاوسط ، وتطل على ساحل البحر الاحمر ، وتؤسس في هذه المناطق زعامات تخضع بصورة او اخرى لسيادة المماليك ، اذا اخذنا في الاعتبار ان الانجليز الذين كانوا يحقدون على محمد على ، كانوا يرتبطون بصداقة مع المماليك وعلى علاقات طيبة في تلك الفترة مع الاحباش(٥٠) .

ومن ناحية ثالثة ، كما تشير الوثائق الرسمية ، فإن محمد على ، كان في هذه الفترة المبكرة من حكمه ،

يخطط لتكوين دولة حديثة قوية ذات منعـه[٥١] وأن ينهض بـالبـلاد في مختلف المجالات الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية واقامة نظام شبيه بنظام الحكومات الاوروبية الحديثة[٥٢] . مما جعل البعض يردد منذ البداية ، ان محمد على كانت تسول له نفسه توسيع رقعة مصر بالاستيلاء على املاك الدولة العثمانية نفسها[٥٣] .

وكانت حروب محمد على في جزيرة العرب ، تجربة ، أوضحت له ما يلي :

١ ـ ضرورة تطبيق النظم الحديثة على جيشه ، فرغم ان قواته كانت حتى ذلك الوقت ، تتكون من خليط من البـاشبـوزق «المـرتـزقـة» وحققت انتصارات في كثير من المعارك[٥٤] الا انه لم يسلم من رفعها راية التمرد والعصيان ضد القادة من حين لآخر ، فأخذ يقارن وهو نفسه من الجنود الالبان ، بين جيشه غير النظامي ، وبين قوات الحملة الفرنسية على مصر ، وقوات حملة فريزر الانجليزية على الاسكندرية في عام ١٨٠٧ ، وهنا لاحظ التفاوت الكبير بين جيشه ، والجيوش النظامية الاوروبية .

فبعد عودته من شبه جزيرة العرب في يونيو ١٨١٥[٥٥] بدأ مباشرة في محاولة تنظيم الجيش في اغسطس من ذات العام ، وتدريب الجند على الاساليب الاوروبية ، وكان هؤلاء الجنود لا يرغبون في النظام الاوروبي ، ربما لاسباب دينية ، فعارضوا ذلك ، اشد المعارضة ، وقامت ثورة في القاهرة ، وتآمر الجند على الفتك بمحمد علي نفسه ، لانه لم يكن في نظرهم سوى جندي الباني ، ولم يتميز عنهم الا برتبته العسكرية ، فكانوا يرون ان الجميع في خدمة خليفة المسلمين ، السلطان العثماني ، فنهبوا الاسواق واضطروه الى الاعتصام منهم بالقلعة ، وقد قتل في تلك الفتنة كل منظمي الجيش ، الا ان محمد على بذكائه ودهائه ، تمكن من اخضاع الجند الثائرين ، وأظهر لهم توقفه عن المشروع ومن ثم زال الخطر[٥٦] .

ولكن لما كانت خطته ـ محمد على ـ تكوين دولة حديثة ، ورسم لها برنامجا يتكون من نهضة داخلية شاملة ، وقوة عسكرية في البر والبحر للدفاع عن البلاد وتنفيذ سياسته الخارجية[٥٧] كان عليه والحالة هذه ان يكون جيشا نظاميا ، مهما كانت الظروف[٥٨] .

فدبر خطة لتنفيذ المشروع ، وذلك بابعاد الجند الالبانيين من القاهرة تدريجيا الى بلاد العرب والى جنوب مصر والى المعسكرات الاخرى في الاقاليم المصرية ، وكان قد حصل على خدمات عدد من الضباط الاوروبيين لتدريب القوات العسكرية الجديدة ،

وقام احد ضباط جيش نابليون بونابرت المدعو «سيف» والذي اشهر اسلامه فيما بعد ، وتسمى باسم «سليمان الفرنساوى» بادارة مدرسة المشاة العسكرية التي تأسست في عام ١٨٢٠ في اسوان ، لتكون على مقربة من بلاد النوبة وبعيدة عن القاهرة[٥٩] .

٢ ـ كانت المشكلة لتكوين الجيش النظامي ، تتمثل في توفير الرجال الصالحين للجنديه ، فرأى محمد على ، انه اذا اقبل على تجنيد الفلاحين المصريين ، فان ذلك يؤثر على فلاحة الارض وزراعتها ، وهو في اشد الحاجة الى استثمارها ، ومضاعفة الانتاج لاشباع الاستهلاك المحلي ، وامداد الدولة العثمانية ، بما تحتاجه من غلال واموال ، فهداه تفكيره الى ان ينظر الى السودان ، حيث كثرة الرجال الذين يصلحون للجندية[٦٠]

وكانت ظروف السودان الداخلية وقتذاك ، تختلف كلية عن ظروف شبه الجزيرة العربية ، حيث لا توجد به حركة تعمل على توحيده ، كما هو الحال في تلك الجزيرة[٦١] .

لذلك بعد أن سقطت الدرعية ، وانتشرت القوات المصرية في الاحساء والقطيف ، فضلا عن كل الاعتبارات السابقة ، كانت فكرة فتح السودان ، قد اختمرت في ذهن محمد على ، ووصلت الى مرحلة تستوجب سرعة التنفيذ .

وعلى ضوء ما سبق ، نرى ان انسحاب القوات المصرية من شرق الجزيرة العربية ، جاء في وقت مناسب جدا ، لمشروع فتح السودان ، وتجنيد السودانيين في الجيش النظامي ، والابقاء على الفلاح المصري ليعمل في المشروعات التنموية والتعمير .

أما مسألة الانسحاب في حد ذاته ، فلا نستبعد ـ كما ذكرنا ـ ان تكون حكومة السلطان العثماني وراءها ، اذا أخذنا في الاعتبار ، أن القوات المصرية أدت مهمتها في بلاد العرب ، ومن ثم رأت تلك الحكومة ، ان لا تترك الحبل على الغارب لحاكم مصر ، حتى لا تسول له نفسه الجنوح للانفصال ، مع ضرورة المحافظة على ولائه للسلطان ، للاستفادة من قوة مصر الناهضة ، فقد عين السلطان «محمود الثاني» في يوليو ١٨١٩ ، ابراهيم باشا بن محمد على ، على «جده» مكافأة له على الخدمات التي اداها للدولة العثمانية في بلاد العرب[٦٢] .

ومن ناحية اخرى ، لم يكن في مقدور محمد على في تلك الفترة بالذات ، ان تستمر قواته في البقاء بشرق الجزيرة العربية لأسباب لعل منها :

١ ـ عدم وجود الاحتياطي الكافي من الجنود للاقامة في مناطق شاسعة مثل

شبه جزيرة العرب ، خاصة في اجزائها الشرقية المطلة على الخليج ، لبعدها عن مركز قوته وادارته في مصر ، لذلك نراه لم يترك حامية تذكر في تلك الجهات ، حين انسحب ابراهيم باشا منها .

٢ ـ ادراكه للوجود البريطاني في الخليج ، الذي صار يتزايد ، ويتحول من علاقات تجارية الى علاقات سياسية ، وعلاقة هذا الوجود ، ببعض القوى المحلية ، التي كانت في قرارة نفسها ، لا ترتاح للوجود المصري بان يظل قائما في شرق الجزيرة .

٣ ـ حتى ذلك الوقت ، لم تكن قد نضجت في ذهن محمد على ، فكرة توسيع الدولة الحديثة ، على حساب الدولة العثمانية في الجناح الاسيوي ، والدليل على ذلك انه رفض العرض الذي تقدم به سلطان مسقط ، لاقامة تحالف بين الطرفين ، حين علم هذا السلطان بتقدم القوات المصرية الى نجد ، واكتفى ـ اي محمد على ـ باستئجار ٢٠ سفينة من مسقط لمساعدة قوات طوسون باشا في نقل المؤن والامدادات(٦٣) .

٤ ـ فضل محمد على ان يركز نشاطه في البحر الاحمر والجناح الافريقي ، لتحقيق هدفين هما :

ا ـ التوسع في السودان والعمل على توحيده وادماجه في دولته الجديدة ، وادخال النظم الحديثة اليه ، والاستفادة من موارده البشرية والاقتصادية ، وليكون نقطة انطلاق لنشر الثقافة الاسلامية الى الجنوب .

ب ـ ان تكون قواته على مقربة من السويس(٦٤) خشية ان تتطلع انجلترا وترسل حملة للاستيلاء عليها ، كما حدث وارسلت حملة في عام ١٨٠٧ للاستيلاء على الاسكندرية(٦٥) .

هذا ويبدو ان محمد على ، لم تفته اهمية البحر الاحمر للانجليز ، شأنه في ذلك ، شأن الخليج ، فقد لاحظ ، على اثر منح ابراهيم باشا ، تولية حكم جده وتوابعها «إياله الحبش على البحر الاحمر» ، من قبل السلطان العثماني ، استياء وتبرما من جانب انجلترا ، لانها كانت تخطط منذ الحملة الفرنسية على مصر ، للتحكم بمفردها في طريقي البحر الاحمر والخليج ، لكونهما الطريقان البحريان الرئيسيان المؤديان الى شبه القارة الهندية ، فاستولت في عام ١٧٩٩ على جزيرة «بريم» عند بوغاز باب المندب ، كما عقدت في عام ١٨٠٢ وما بعده سلسلة من معاهدات الصداقة مع سلطان لحج وعدن وبعض زعماء المنطقة لضمان مصالحها التجارية ، ولتأمين طريقها البحري الى الشرق(٦٦) .

كما عقدت معاهدة سياسية دفاعية مع امام مسقط في عام ١٧٩٨ واخرى

في عام ١٨٠٠ بهدف ابعاد الفرنسيين من الخليج وبالتالي تضمن تفوقها وسيطرتها عليه . ولما لاحظت قوة محمد على الناهضة في جزيرة العرب وفي السودان والبحر الاحمر ، سارعت - اي انجلترا - وعقدت معاهدة مع امام اليمن في ١٨٢١ ، تسمح لها بتصريف متاجرها في اسواق البلاد في احوال ملائمة لمصالحها(٦٧) .

لم تكن هذه التطورات خافية على حاكم مصر ، وكانت رؤيته بالنسبة للبحر الاحمر ، هي ذات الرؤية بالنسبة للخليج ، وامام ظروفه وامكانياته فضل ان يركز اهتمامه في مشروع فتح السودان في تلك الفترة ، وظلت حكومته ترقب وترصد تطور العمليات العسكرية البريطانية في الخليج ضد عرب القواسم ، خاصة حول ما احدثته الحملة الانجليزية الثالثة ضدهم في عام ١٨١٩(٦٨) .

هذا ويلاحظ انه اذا كان محمد على قد انتهى تماما في ١٨٢٠ من وضع سياسة جديدة في البحر الاحمر ، وذلك بالاشراف عليه واعادة الحركة التجارية وتنشيطها بين موانيه ، حتي يحصل على عوائد ، تساعده في مشروعاته العديدة ، فانه بسبب انسحابه المفاجيء من شرق الجزيرة العربية في اواخر يوليو ١٨١٩ ، لم يكن قد وضع سياسة معينة تجاه الخليج العربي ، اللهم الا تخوف حكومة القاهرة من تزايد الوجود البريطاني في المنطقة ، وكانت شديدة القلق بصفة خاصة على البحرين لاهميتها الاستراتيجية في الخليج(٦٩) .

الآثار التي ترتبت على الانسحاب :

ترتب على انسحاب قوات محمد على وانكماش الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، عدة اثار لعل اهمها واخطرها ما يلي :

١ - استفحال النفوذ البريطاني في الخليج العربي الذي تمثل في :

(أ) توجيه ضربة بحرية ضد مشيخات الخليج العربية ، وقد ساعد بريطانيا على ذلك ان سلطاتها في الهند في عام ١٨١٩ ، كانت تدعو اكثر من اي وقت مضى لتدخل عسكري واسع النطاق في الخليج العربي ، فقد انتهت الحرب العامة في اوروبا ، وانكسرت فرنسا - عدوتها التقليدية - التي كانت تحاول على عهد نابليون بونابرت ان يكون لها وجود في الخليج ، بل زيادة على ذلك فإن بونابرت كان يقوم بمساع لدى ايران والدولة العثمانية من اجل قيام تحالف ثلاثي ضد روسيا(٧٠) .

ولكن بعد هزيمة نابليون بونابرت في موقعة «واترلو» وانعقاد مؤتمر فيينا في عام ١٨١٥ ، سيطرت بريطانيا على

معظم الاملاك الفرنسية في الشرق ، وبالتالي اصبحت اكثر اهتماما بتأكيد سيطرتها البحرية على الطرق المؤدية الى المحيط الهندي ، وكانت السلطات البـريطانيـة في الهند قـد تغلبت على مقاومة «المهارتا» العتيدة ، التي كانت تـؤثر بشكـل واضـح عـلى حكـومـة بومباي[٧١] .

ولما تمكن محمد على من ان يقضي عـلى الدولة السعوديـة الاولى ، التي كـانت تناصر بـطريقة او بـأخـرى ، القوى العربية البحريـة في الخليج ، ضـد السفن الاجنبيـة ، تـطلبت الضرورة من الانجليز ، أن يقضـوا عـلى تلك القـوة ، التي بـاتت تـؤرق الوجود البريطاني في المنطقـة ، فكان ان سيرت انجلترا حملتها المشهورة في نوفمبر ١٨١٩ بقيادة الجنرال «وليام جرانت كير» الذي نجح في الفتك بالقوة العـربية ، ودمـر اسـطول القـواسم وضرب قلاعهم[٧٢] .

ويبدو ان هزيمـة القواسم ، ومـا ترتب عليها من اثار في الخليج ، كانت درسا للدولة العثمانية ، فصارت تحلل محاولات الانجليز للتقارب مع محمد على ، حين ارسلت السلطات في الهند «الكـابتن سـادلير» لمقـابلة ابـراهيم باشا ، والتنسيق معه لضرب القواسم[٧٣] فخشيت ان ينجـح الانجليـز في جهـات اليمن فبعـد أن اطلع البـاب العالي ، على التقارير الواردة اليه من قبل والى العراق والسفير الفرنسي في الآستـانة ، حـول عمليـة الخليـج ، وتحـرك القـوات الانجليـزيـة تجـاه القـطيف ، سارع الصـدر الاعظم ، ونبه محمد على ، بان لا ينخدع بأقوال الانجليـز ، ونصحه بـان يكون عـلى حرص في التعامل معهم «لمقاصـدهم الفاسدة»[٧٤]

وان دل ذلك على شيء ، فانما يدل عـلى ان حكومـة السلطان العثمـاني كانت على يقين من اطماع الانجليز ، وانها كانت تسخـر والى مصر في تلك الفترة، للدفاع والمحافظة عـلى أملاك الدولة ، سـواء كـانت تلك الامـلاك عربية او حتى اوروبية .

(ب) ربط مشيخات الخليج العربية ، بمعاهدة السلام العامة ، التي ابرمت في عـام ١٨٢٠ م والتـي كـانـت في الحقيقة ، بداية السيطرة السياسية لبـريـطانـيـا العـظمى عـلى تـلك المشيخات[٧٥] .

ويلاحظ ان محمد على ، كـان غير مرتاح لهذه المعاهدة ، لما تنطوى عليه من اضرار مستقبليه بالخليج ، ولانه صار على دراية تامة بأهداف الانجليز بالنسبة للعالم الاسلامي ، وتخوفهم من روسيـا ، التي كـانت تتـطلع الى ايران والخليج ، للوصول الى الهند ، فاستغل ـ محمد على ـ العلاقات التي كانت بينه وبين السيد سعيد سلطان مسقط ، وارسل اليه ، ينصحه بعدم

الاتفاق مع الانجليز[٧٦] .

٢ ـ عودة الخوالد المدعومين من قبل الدولة العثمانية لحكم الاحساء ، على ان يتبع هذا الاقليم من النواحي الادارية والى العراق[٧٧] .

٣ ـ اصبحت السلطات البريطانية في الهند ، بعد ان هيمنت عسكريا وسياسيا على الخليج ، ترى عدم تشجيع الدولة العثمانية على بسط نفوذها في هذه الجهات[٧٨] ، خاصة وان محمد على قام بالمهمة التي كان لابد ان تقوم بها هي ـ اي السلطات البريطانية ـ ضد الموحدين ، لمساندتهم عرب القواسم ، الذين دأبوا على اهانة وتضييق الخناق ضد المصالح الانجليزية في الخليج .

٤ ـ احباط ارحمه بن جابر الجلاهمة ، الذي كان يعلق امالا كبيرة على مساعدة القوات المصرية له ، في توطيد مركزه على ساحل الاحساء[٧٩] وكان ارحمه قد اتخذ من قلعة الدمام ، قاعدة لتحركاته ضد سفن البحرين التجارية ، مما جعل بريطانيا ، لا ترى بأسا ، من الاعتراف بسيادته على منطقة القطيف ، رغم تأكدها من العداوة التي بينه وبين حكام البحرين ، مع ضرورة مراقبته ، حتى لا يستفحل خطره ، ويكون قوة بحرية قوية على غرار قوة القواسم[٨٠] .

ونظرا للتطورات التي كانت تتلاحق بعضها اثر بعض في الخليج ، والتي تأثر بها كل من حكام البحرين وارحمه بن جابر نفسه في الدمام ، تم توقيع معاهدة في فبراير ١٨٢٤ بين الطرفين ، بمساعدة المقيم البريطاني «ستانوس E.G.Stannus» ، الذي انتهز هذه الفرصة ليوطد النفوذ الانجليزي في المنطقة ، عن طريق القيام بدور الوسيط بين الاطراف المتنازعة ، وتضمنت المعاهدة ان يكف ارحمه بن جابر عن مهاجمته سفن البحرين ، بل والتعاون معا ضد اي عدوان يقع على شعب البحرين .

ولكن يبدو ان هذه المعاهدة ، أتت بنتائج غير طيبة بالنسبة لابن جابر الجلاهمه ، فصار يتخبط في سياسته ، فتارة يحاول الاتصال بسلطان مسقط ، وتارة اخرى يتناسى معاهدته مع حكام البحرين ، وتارة ثالثة يشدد الحصار على القطيف ، ويهدد جميع السفن التجارية الداخلة او الخارجة من الميناء ، فقام الكولونيل «ستانوس» بارسال طرادين حربيين الى الدمام ، لحماية السفن التجارية ، ووجه تحذيرا لابن جابر ، وحمله مسئولية اعماله ، التي كانت في نظر ستانوس ، نوعا من القرصنة ، غير ان ارحمه بن جابر ، تجاهل الانذار ، وكان يشجعه وقتذاك ، الموحدون ، الذين كانوا قد استعادوا مركزهم في نجد ، ويسعون لاعادة

نفوذهم السابق في الاحساء ، وعندما عرض الموضوع على «الفنستون» قرر انه مهما كانت اعمال ارحمه تهدد المنطقة ، فهي اعمال حربية مشروعة ، وانه طالما انحصرت تلك الاعمال في المنطقة القريبة من القطيف ، فليس هناك اسباب تبرر منعه ، ولذلك ارسلت الاوامر الى ستانوس ، لسحب الطرادين من ساحل القطيف(٨١) .

والواقع ان قرار «الفنستون» يحتاج الى تحليل ، فهو دليل اخر ، على ان الانجليز ، كانوا لا يمانعون في ان يتصارع العرب مع بعضهم البعض ، حتى تضعف قوتهم ، ويصفون زعاماتهم بأنفسهم ، ولا يتدخلون ـ الانجليز ـ الا في حالات اقتراب الخطر من مصالحهم ، او لاشعار القادة والزعماء بأنهم هم وحدهم القادرون على معالجة مشاكل العرب وايجاد الحلول المرضية لها .

على اية حال عندما ازدادت تصرفات ارحمه بن جابر العدائية ، وصارت لا تحتمل ، تحالف حكام البحرين مع الخوالد ، حكام الاحساء السابقين في عام ١٨٢٦ ضده ، فقامت قوات الخوالد بمحاصرته من ناحية البر ، بينما تصدت قوات البحرين له من ناحية البحر ، وانتهى الأمر بمصرعه(٨٢) .

٥ ـ تطلع السيد سعيد سلطان مسقط الى البصرة ، للحصول على الزكاة منها ، ولم تمانع السلطات الانجليزية في تلك الفترة ، في ان يتحرك السلطان ، ضد «داود باشا» حاكم العراق ، بعد ان فشل الكابتن «تايلور» في الوساطة بين الطرفين ، وينتزع منه البصرة(٨٣)

فقد كانت الامور غير طيبة بين هذا الحاكم والسلطات الانجليزية ، ورفضت انجلترا ان تمده بالضباط لتدريب جيشه على النظم الحديثة ، كما كان يفعل محمد علي في مصر ، مما جعله يستعين بضابطين من الفرنسيين ، لتنظيم قواته ، نكاية في الانجليز ، ويزيد من الرسوم الجمركية على الواردات الانجليزية ، لذلك ، رأت انجلترا ، ان اشتباك امام مسقط معه ، يضعف من قوته ، وبالتالي يسهل التعامل معه ، وفقا للمصالح البريطانية .

لكن عندما حدثت توترات بين الدولة العثمانية وروسيا ، وصارت الاخيرة تزيد من تطلعاتها الى الهند ، خشى الانجليز على الاوضاع في كل من ايران والعراق ، وصار «تايلور» نفسه ، يحذر حكومته من احتمال وقوع هجوم روسي على العراق ، ثم الزحف الى الهند عن طريق البصرة وبوشهر ، واخذ يؤيد موقف داود باشا ، الذي كان السلطان العثماني قد امر بخلعه من منصبه ، بل اشتط

في تأييده الى درجة انه كان يدعو الى اقامة دولة مستقلة في العراق ، تحت حكم داود ، تعمل كمنطقة عازلة Buffer State بين روسيا والخليج ، والموافقة على ارسال ضباط بريطانيين لتدريب القوات العراقية(٨٤) .

ويبدو ان هذه التطورات في الخليج ، شدت انتباه محمد على في مصر ، رغم حروبه ضد الثوار في المورة ، الذين رفعوا راية التمرد والعصيان على الدولة العثمانية(٨٥) ورغم انشغاله بتطبيق التنظيمات الحديثة في كل من مصر والسودان ، فتطلبت منه تلك المسألة المزعجة في الخليج ، ان يتدخل في الامر ، ليوقف تطور الازمة بين سلطان مسقط وحاكم العراق ، عند حد قد يمكن القوى الاسلامية من تفويت الفرصة على الانجليز ، فقد لاحظ ، كيف ان الاوروبيين ، يساعدون ثوار المورة ، بصورة او بأخرى ، ضد الحكم الاسلامي ، فبعث رسالة الى سلطان مسقط في عام ١٨٢٥ ، يطلب فيها ، ان يوقف تحركه ضد البصره ، وفعلا ، توقفت التحركات العمانية(٨٦)

ويبدو ان سلطان مسقط ، كان لا يتوقع مثل هذا التصرف من جانب محمد على ، نظرا للعلاقات الطيبة التي كانت تربط بين الطرفين ، وكان من مظاهرها انه حين توجه السلطان لاداء فريضة الحج على ظهر السفينة «ليفربول» في عام ١٨٢٤ ، استقبله والي جده ، استقبالا حافلا ، كما ارسل محمد على بعثة من كبار رجاله للترحيب بالعاهل العماني ، ويبدو ان السيد سعيد ، حرص من جانبه ، على توقيت حجه في ذلك العام ، لكي يعبر عن سروره وتأييده لمحمد على ، بعد ان نجحت قواته في نجد والحجاز(٨٧) ، وبصفة عامة لتوثيق الروابط وتعزيز العلاقات بين الطرفين .

ولكن يبدو ان سيد مسقط ، تصور ، ان تورط محمد على في حرب الموره ، يأخذ كل اهتمامه ، ومن ثم لن يجد الوقت للاهتمام بشئون الخليج ، فسارع وارسل قواته البحرية الى البصرة للاستيلاء عليها ، ولكنها لم تحقق الهدف المطلوب ، فقد تم التغلب على المشاكل بين الطرفين بالطرق السلمية ، وعاد الاسطول العماني الى مسقط في نوفمبر ١٨٢٦(٨٨) .

هذا وقد نتج عن تدخل محمد على لانهاء الازمة ان حسن داود باشا من علاقاته معه فنلاحظ ان حاكم بغداد ، خلال تصاعد الخطر الانجليزي الممتد من القطيف الى مخا باليمن ، يكتب الى حاكم مصر ، ليطلعه على عدد السفن الانجليزية التي كانت تخرج من القاعدة البريطانية في بومباي ، ويحدد خطوط سيرها ، ويكتب له بالتفصيل ما كان يحدث من تعاون بين قوات

سلطان مسقط والقوات الانجليزية في الخليج[٨٩].

٦ ـ ترتب على تركز الوجود المصرى فى الحجاز، ان اتاح الفرصة لال سعود، ان يعيدوا قوتهم، ويكونوا الدولة السعودية الثانية، فقد نجح الامير (تركى بن عبدالله) فى ان يستولى على نجد، وان يتغلب على الخوالد ويستعيد منهم الاحساء[٩٠] الامر الذى اقلق محافظ مكة، وجعله يطلب من حكومة القاهرة، الموافقة على توجيه حملة اليه لوضع حد لنفوذ ال سعود المتزايد فى الجبهة الشرقية من شبه الجزيرة، ولكن نظرا لان محمد على، كان وقتذاك فى نزاع مع السلطان العثمانى، بعد ان رفع ضده راية التمرد والعصيان، عقب معركة نوارين ـ السابق الاشارة اليها ـ فانه لم يستطع الاستجابة لمحافظ مكة، فقد كان مشغولا فى اعداد حملته العسكرية للاستيلاء على الشام بالقوة من الباب العالى[٩١] واكتفى بان ارسل الى محافظ مكة، بان يوجه النصح للامير السعودى، وان يركن الى الهدوء، ويحثه على اعلان ولائه لحكومة مصر، والا ارسل اليه ـ اى محمد على ـ جيشا لجبا يكتسحه اكتساح السيل، ويقهره ويدفع غائلته[٩٢] ونعتقد أنه اذا كان محمد على يهمه فى تلك الفترة الحرجة الحرص على وجوده فى الحجاز بصفة خاصة، حيث الاماكن الاسلامية المقدسة، حفاظا على سمعته، التى اصبحت (سحرا) ووصلت الى مسامع كل المسلمين، وكان فى اشد الحاجة الى تأييد الرأى العام العربى والاسلامى فى حروبه ضد السلطان الذى كان فى نظر معظم المسلمين، السلطان الخليفة، الذى يحمى ديار الاسلام من التسلطات والمطامع الاوروبية الاستعمارية، فان تطورات الخليج العربى، وزيادة التدخل الانجليزى فى شئونه، وسعت من دائرة رؤية محمد على السياسية تجاه هذه المنطقة العربية الاسلامية، الامر الذى سيتطور فيما بعد الى محاولة تكوين اقليم موحد منها، تستند عليه دولته من ناحية الشرق، كما سنشير اليه بعد قليل.

عودة قوات محمد على الى شرق الجزيرة واستئناف تطلعه الى الخليج العربى:

ونتساءل الان ما هى الدوافع التى ادت الى عودة تلك القوات، ونقول انه منذ معركة (نوارين) التى دمرت فيها الاساطيل المصرية الجزائرية التركية فى ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧، امام الاساطيل المشتركة من روسيا وانجلترا وفرنسا وايطاليا، التى وصلت الى مياه اليونان لمساعدة الثوار ضد الاتراك[٩٣]، تأكد

محمد على، ان الدول الاوروبيــة، لن تسمح له بلاستيلاء على الموره، بل ان الاسكندرية نفسها، كان من الممكن ان تتعـرض لحصار بحـرى من جـانب الدول الاوروبية المشتركة فى المعركة، لذلك لم يستجب محمـد على ـ لطلب السلطان (محمود الثانى) بمـواصلة القتـال، واستجـاب لنـداء الحلفـاء الاوروبيين ووقع معهم اتفاقا منفردا، دون رغبة السلطان العثمانى، فى اول اغسطس ١٨٢٨، يقضى بتنظيم تبادل الاسرى، وجلاء الجيش المصرى من المورة، ويحدد كيفية هذا الجلاء الذى تم فى ديسمبر ١٨٢٨.[٩٤]

والواقع ان هذا الاتفاق يعتبر نقطة تحول خطيرة فى سياسة محمد عـلى الخارجية فقد انهى الدور الاول من سيـاسـة الطاعـة والولاء الكـامـل للسلطان، وبدأ الدور الثانى من ادوار سياسته الخارجية، الذى تميز بموقفه المعادى للباب العالى، ثم ظهوره عـلى المسرح الدولى كقوة لا يمكن اغفالها فى العالم الاسلامى.

وقد كشف محمد على عن سياسته المعـادية للسلطان، عنـدما رفض ان يستـجيـب له بـامـداده بـالجيش والاسـطول، لـمواجهـة روسيـا التى اعلنت عليه الحرب فى عام ١٨٢٩، فقد رأى حاكم مصر، ان لا فائدة تعود عليه من وراء ذلك، وانما رأى ان الظروف ملائمة جدا، لان ينال بحد السيف ما وعده به السلطان من توليه عكا علاوة على مصر،

وكانت فرنسا لا تزال تتعاطف معه، وتتقـرب اليـه، وارسلت المهنـدس (سيريزى) لمعاونته فى بناء الاسطول المصرى الجديد بالاضافة الى امداده بـالعلمـاء والفنيـين لمسـاعـدتـه فى مشروعاته الجديدة[٩٥].

ولما علم محمد عـلى ان السلطان، على وشك ان يخلعـه من ولاية مصر، اعلن الحـرب عليه، وسـير جيـوشـه بقيادة ابراهيم باشا فى اكتوبر ١٨٣١ للاستيلاء على الشام، وعندما تقدمت القوات المصريـة الى (كوتـاهية)[٩٦] إنـزعج السلطان (محمـود الثـانى) وخشى من ضياع ملكه، خاصة عندما وصلته الانباء عن تأييد بعض سكان اسيا الصغرى، لانتصارات ابراهيم، وتكـوين حزب عـربى فى (البصـرة) للوقوف مع مصر ضد السلطان[٩٧]، وسرعان ما تجاوب سكان بغداد مع البصـرة، وعبروا عن تـذمرهم ضـد الاتراك،[٩٨].

فاضطر السلطان والحالة هذه، ان يتـطلع الى الدول الاوروبية، ولكنهـا كانت فى تلك الفترة ـ خاصة بريطانيا ـ مشغـولة بمشاكلهـا، مثل منـاقشـة القـوانين الاصـلاحية فى البـرلمـان، ومشكلتى بلجيكا وهولنـدا، ولهذا لم يستطع (بالمرستون) ان يوجه اهتمامه الى موضوع التوسع الروسى فى اسيا،

كما لم يكن يهتم كثيرا بمصير الدولة العثمانية او باطماع والى مصر [٩٩]

حينئذ لم يجد السلطان امامه الا روسيا عدوته القديمة، التى سبق وعرضت على الباب العالى، ان ترسل اليه قوة بحرية واخرى برية لمساعدته ضد القوات المصرية، وكان السلطان قد تردد فى قبول هذا العرض، ولكن نظرا لتقدم قوات محمد على، انتهزت روسيا هذه الفرصة، وارسلت القائد (مورافييف) الى السلطان، ليعرض عليه استعداد القيصر (نيقولا الثانى) لوضع الاسطول الروسى تحت تصرف الباب العالى، لردع قوات محمد على [١٠٠]

وعندما، احتل ابراهيم باشا (كوتاهية) فى ٢ فبراير ١٨٣٣، اضطر الباب العالى، الى طلب المساعدة من روسيا رسميا، وفى ٢ فبراير دخل الاسطول الروسى مياه البسفور، وانزلت القوات الروسية قبالة القسطنطينية، لحماية السلطان، وتحسبا لاى هجوم من قبل ابراهيم باشا.

عندئذ انزعجت كل من بريطانيا وفرنسا، للتدخل الروسى، لان ذلك من وجهة نظرهما، وبالذات بريطانيا، يخل بمبدأ المحافظة على التوازن الدولى فى البحر المتوسط، فشددت فرنسا والنمسا الضغط على الباب العالى، للاتفاق مع محمد على، وابرم اتفاق كوتاهية فى ٨ ابريل ١٨٣٣، بين السلطان ومحمد على، وبه ولى الاخير، على مصر والشام وجزيرة كريت، كما تثبت ابنه ابراهيم باشا على جدة وولاية الحبش (سواكن ومصوع) على البحر الاحمر [١٠١]

وعلى ذلك تمكنت مصر ان تتحكم فى الطريقين القصيرين السريعين للملاحة عبر العراق والخليج، نظرا لسيطرتها على الشام وعلى معظم البحر الاحمر، حيث وجودها فى الحجاز والسودان.

وهنا يبدو ان مشروع تكوين الدولة الحديثة، قد اكتمل فى ذهن محمد على، ولم يتبق امامه فى الجناح الاسيوى، الا فتح اليمن واعادة السيطرة على شرق الجزيرة العربية، والنظر الى الخليج العربى.

ففى اواخر عام ١٨٣٣، اوفد مبعوثا يدعى (سيد خالد افندى) الى بغداد عن طريق الخليج، وقد عرج المبعوث فى طريقه على بوشهر فى مارس ١٨٣٤، وهناك ابلغ المقيم السياسى البريطانى (تايلور) بانه يحمل رسائل محمد على، الى سلطان مسقط وامير شيراز ومشايخ المنتفك وقبائل بنى كعب، سكان شط العرب وجنوب العراق، واضاف للمقيم البريطانى قوله، ان محمد على، قد فوضه الباب العالى، للتحدث باسم بغداد وسواحل وجزر الخليج، التى كانت اصلا،

خاضعة للنفوذ العثماني، وقد ارسل (تايلور) من بغداد، تقريرا عن مهمة (سيد خالد) الى الكولونيل (كامبل) في مصر، واتصل الاخير بمحمد علي، للاستفسار عن هذا الموضوع، وعن رأيه عموما بالنسبة للوضع في بغداد. وكان محمد علي قد خبر السياسة الانجليزية وعرف المغزى من وراء هذه المقابلة وغيرها، لذلك يبدو انه حاول ان يتنصل بطريقة دبلوماسية من الموضوع، وان يجيبه بذكاء الرجل الداهية، فقال له بان من المعروف ان سكان بغداد لا يرتاحون للحكم القائم عليهم، وعبروا عن ذلك بتذمرهم المستمر، لدرجة انهم طلبوا من واليه في سوريا (شريف بك) التحرك، للاستيلاء على بغداد، نيابة عن الوالي، اي محمد علي، ولكنه لم يفكر في شيء من هذا القبيل، واضاف ان المبعوث (سيد خالد) هو من اتباع والي بغداد السابق (داود باشا) وطلب منه العمل لديه، ولكي يتخلص ـ محمد علي ـ منه، قام بارساله الى سلطان مسقط، مزودا بخطاب توصية منه، غير ان الكولونيل (كامبل) لم يقتنع بتفسيرات محمد علي، لان والي مصر، لم يتعود اعطاء خطابات توصية دون ان يكون وراء ذلك هدف محدد،

وبالاضافة الى ذلك، كان هناك في ذات الوقت، مبعوث من السيد سعيد، سلطان مسقط، في دار الوالي، والوالي نفسه، ذكر للكولونيل كامبل، ان السيد سعيد، قد عاتبه على شراء سفن لحملته على اليمن، في الوقت الذي كان فيه السيد سعيد على استعداد لاعارته تلك السفن.

وعلى ضوء ذلك، كان كامبل على يقين من ان سيد خالد قد توجه الى بغداد لاسباب هامة، حتى ولو كان ذلك لجمع المعلومات عن البلاد، خصوصا، وان محمد علي، كان على دراية بأحوال العراق، وطلب الاهالي هناك دعوته لانقاذ بغداد من فساد الحكم فيها[١٠٢]

والواقع ان الاستنتاج الذي خرج به مستر كامبل، يجب ان يؤخذ في الاعتبار، لان محمد علي، صار يشعر بالقوة، بعد حصوله على المكاسب الاقليمية، التي تضمنتها اتفاقية كوتاهيه، ومن ثم بات امر الدولة الحديثة، التي كان يحلم بها، على وشك ان يصبح حقيقة.

ويبدو انه كانت هناك عوامل اخرى تشجعه على ترجمة هذا الحلم الى واقع، وابراز الدولة تحت الشمس، لعل منها:

١ ـ نظر محمد علي الى اتفاقية السلام العامة في الخليج (١٨٢٠) واتفاقية اليمن في (١٨٢١)، نظرة شك وارتياب من الوجود الانجليزي في تلك الجهات، وكان يرى ان الهدف منهما، هو تقوية النفوذ البريطاني واتساع

دائرته.
ونحن نرى ان اتفاقية اليمن، كانت ردا على التوسع المصرى فى البحر الاحمر، وان اتفاقية السلام العامة فى الخليج، كانت لا تخلو من اسباب مصرية لابرامها، فرغم ان الظاهر من ارسال حملة ١٨١٩ الانجليزية الى الخليج، هو لتحطيم القوة العربية البحرية المناهضة للوجود البريطانى، الا انها كانت فى الوقت ذاته اشعارا لمحمد على، حتى لا يفتح عينيه تجاه الخليج، وان مسألة ارسال الكابتن (سادلير) لمقابلة ابراهيم باشا فى شبه جزيرة العرب، بعد سقوط الدرعيه، للتعاون معا ضد حلفاء الموحدين، كانت تخفى وراءها حقيقة، وهى معرفة الانجليز بخطط هذا القائد، والوقوف على قوته، فكان الانجليز يدركون قوة مصر الناهضة، ويخشون من تصاعدها، خاصة وان اسم محمد على، صار يتردد فى العالم الاسلامي، على انه من الابطال، فكانت المعاهدة (١٨٢٠) حسب تصورنا الشخصى، بمثابة اشارة ليعمل محمد على حسابها، اذا فكر فى العودة الى شرق الجزيرة العربية.

٢ـ ترتب على اتفاقية كوتاهيه، ان صارت الدول الاوروبية، تعيد حساباتها ازاء القوة الجديدة فى مصر خاصة وقد جددت مصر أسطولها الحربي وكان محمد على، ينظر الى تلك الاتفاقية، بمنظار يختلف كلية عن منظار الدول الاوروبية لها، فقد كانت تلك الدول ـ خاصة انجلترا ـ تأمل ان يقتنع محمد على بشروط تلك الاتفاقية، وان لا تتعدى طموحاته اكثر من ذلك، حتى لا يثير ارتباكا للمصالح البريطانية فى الشرق من ناحية واستقرار الأوضاع على ما هى عليه فى الدولة العثمانية من ناحية اخرى ولابعاد تطلعات روسيا عنها من ناحية ثالثة.

٣ـ اعتماده على جيش حديث ومنظم، اصبح من اقوى جيوش الشرق [١٠٣]

٤ـ احتكاره لبعض الموارد الاقتصادية، عاد عليه بارباح، مكنته من تنفيذ برامجه التنمويه فى الزراعة والرى والصناعة وغيرها، بالاضافة الى مشروعاته التوسعية[١٠٤]

٥ـ السيطرة على اليمن تمكنه من التحكم فى البحر الاحمر من ناحية الجنوب

٦ـ اقتناعه التام، ان الدولة العثمانية، وصلت الى مرحلة من الضعف والانهاك تجعلها غير قادرة على الادارة وتطبيق الاساليب الحديثة فى املاكها الشاسعة.

٧ـ يقينه ان الدول الاوروبية، لابد ان تمزق الدولة العثمانية وهى على وضعها الراهن، وان مسألة المحافظة عليها القصد منها عدم احداث خلخلة فى توازن القوى الدولية بقدر الامكان،

ريثما يحين الوقت المناسب.

فقد سبق وسلخت فرنسا ولاية الجزائر من الدولة فى عام ١٨٣٠.

٨ـ وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات، رأى محمد على، بعد ان استقرت الاحوال فى السودان والشام والحجاز، ان الواجب الاسلامى، يتطلب منه، اعادة النظر الى شرق الجزيرة العربية والخليج! طالما ان القوة العثمانية او القوة الفارسية او القوة العربية المحلية، لم تتمكن من وقف تزايد النفوذ الانجليزى فى تلك الجهات.

موقف السعوديين

بعد ان انسحبت القوات المصرية من الاحساء ونجد فى عام ١٨١٩، تمكن الموحدون بزعامة الامير (تركى بن عبدالله بن سعود) من ان يعيدوا نفوذهم فى تلك الجهات، ولم يأت عام ١٨٣٠ حتى كان السعوديون قد اخذوا يهتمون من جديد بساحل شرق الجزيرة العربية من البحرين حتى مسقط [١٠٥] وقد ترتب على ذلك ان تنفس (القواسم) الصعداء، فعبروا عن ارتياحهم لصعود القوة السعودية، مما جعل الانجليز، يرون فى تلك التطورات، ثمة احتمال، ان يمارس القواسم نشاطهم السابق ضد السفن البريطانية فى الخليج[١٠٦]

واستمر الامير تركى فى تطلعاته من الاحساء، التى اتخذ منها نقطة انطلاق الى الخليج العربى، واضطرت بلاد ساحل شبه الجزيرة الشرقى من الكويت الى رأس الحد، ان تعترف بسيادة السعوديين، وان توافق كل من البحرين ومسقط على دفع الزكاة لهم[١٠٧]

لكن سرعان ما حدث خلاف بين أبناء البيت السعودى نفسه، فقد اغتيل الامير (تركى بن عبدالله) فى عام ١٨٣٤، على يد (مشارى بن عبدالرحمن ال سعود) وانتقم الامير (فيصل بن تركى) بقتل قاتل والده [١٠٨]

هذا وقد ترتب على تلك الاحداث، ان انتهز الخوالد، الفرصة وتحالفوا مع الشيخ (عبدالله بن احمد ال خليفة) شيخ البحرين، وابنه مبارك امير قلعة الدمام، لرفض سيطرة السعوديين على الاحساء، وقام آل خليفة بفرض الحصار على سواحل القطيف[١٠٩]

لكن من ناحية اخرى، كان سلطان مسقط، لا يزال يكرر محاولاته للاستيلاء على البحرين. رغم مشاكله مع بعض قبائل المنطقة [١١٠] فلم يستطع رغم اتساع دولته التى جمعت بين مسقط وزنجبار فى شرق افريقيا [١١١] ان يغض الطرف عن جوهرة الخليج (البحرين) فتارة نراه يعرض تحالفه مع محمد على لمساعدته فى

الحصول عليها[١١٢]، وتارة اخرى يحاول التقرب من السعوديين لذات الهدف [١١٣]. ولكنه لم ينجح فى كلا الحالتين، لانه وكما يبدو فان محمد على، لم يوافق على هذه الفكرة، كما ان الامير فيصل آل سعود رغم انه كان يريد ان يستفيد بقوة سلطان مسقط البحرية، فى سبيل تحقيق اهداف سعودية فى البحرين، بعد تحالف حاكمها مع الخوالد، الا ان سلطان مسقط، حين ادرك ان الامير السعودى، لم يسمح له بان يسيطر على البحرين بمفرده، عبر له عن اعتذاره، بحجة انه مرتبط بالانجليز ولا يستطيع القيام بهذه المهمة دون استشارتهم [١١٤].

والواقع ان الانجليز، بعد ان شعروا بتطلعات محمد على نحو الخليج، تلك التى لم يستبعدها الكولونيل كامبل فى القاهرة، على اثر مقابلته مع محمد على، للوقوف على رحلة المبعوث (سيد خالد أفندى)، التى اشرنا اليها سابقا، صاروا يحاصرون سلطان مسقط، لتقوية العلاقات معه، وعقد معاهدة، حتى لا تقع مناطق الخليج تحت سيطرة محمد على، ففى بداية شهر نوفمبر ١٨٣٤، بعث الملك (وليم الرابع) ملك انجلترا، برسالة الى (شارلس جرانت) رئيس مجلس الهند، يحثه على عقد معاهدة مع السيد سعيد، فقد خشيت انجلترا بعد ان سيطر محمد على، على مصر وسوريا وسواحل البحر الاحمر، ان يسيطر ايضا على مسقط، وهذا له من الخطورة بمكان، لان محمد على، اذا تمكن من ذلك، فانه يسيطر على الطريقين الملاحيين التجاريين (البحر الاحمر والخليج) الى الهند.

خاصة وان السلطات الهندية نفسها اعترفت، بان محمد على، قد اصبح القوة الفعالة الاولى، فى منطقة شبه الجزيرة العربية، وانه اخذ يوجه اهتمامه الى الساحل الممتد الى مسقط، ولعله يطمع فى السيطرة على هذا الجزء، كما ان هناك اعتقادا بان امام مسقط ينظر الى والى مصر باحترام اكثر مما ينظر به الى شركة الهند الشرقية البريطانية[١١٥].

على اية حال، رأى الامير فيصل آل سعود، ان الظروف تتطلب منه ان يؤمن ظهره من جانب الخوالد وآل خليفة معا، حتى يتفرغ لبقية انحاء دولته الشابه، فعقد العزم على ضرورة التخلص من الوجود البحرينى فى منطقة القطيف والدمام.

ويبدو من سير الاحداث، ان البحرين، كان فى امكانها، ان تتصدى لتهديدات الموحدين، لكن سرعان ما تعرضت ـ اى البحرين ـ فى عام ١٨٣٦ لضغوط من فارس هذه المرة، فاضطر شيخ البحرين ان يرفع حصاره عن ساحل الاحساء

والقطيف، ويفتح صدره للامير السعودى، بل وان يدفع له الزكاة سنويا، لمساعدته ضد تهديدات الفرس(١١٦)

وبعد ان قررت حكومة محمد على، تنفيذ مشروع فتح اليمن، وصار الساحل اليمنى تحت الحكم المصرى، ودخول القوات المصرية عدن فى ٢٧ اغسطس ١٨٣٧، رأى محمد على فى ذات الوقت، انه من الممكن توجيه جزء من الجيش تجاه الجزيرة العربية والخليج العربى(١١٧)

فتوجهت حملة الى الحجاز، بعد ان اخذ فى الاعتبار، ضرورة المحافظة على القوة التى كانت فى سوريا، تحسبا لاى هجوم مباغت من جانب الباب العالى.

وعندما وصلت تلك الاخبار الى مسامع الامير فيصل آل سعود داخله الخوف(١١٨)، خاصة وان الحملة كان على رأسها الامير (خالد بن سعود(١١٩)، منافسه على الحكم، وكان يشارك الامير خالد، فى قيادة الجيش (اسماعيل أغا) وحاول الامير فيصل ان يتحاور مع محمد على بالحسنى، وأبدى الامير، كافة استعداده، للموافقة على كل طلباته - اى محمد على) - ليتخلى عن الامير خالد وعدم مهاجمة املاك السعوديين فى شرق الجزيرة العربية (١٢٠)

ولكن يبدو ان المسألة صارت فى نظر محمد على، اكبر من اعتراف الامير فيصل بالولاء لمصر، فقد تحولت سياسته الخارجية بعد اتفاقية كوتاهية (١٨٣٣) الى ضم شبه الجزيرة العربية والشام ومصر والسودان، وما يمكن ضمه من بلاد تنطق بالضاد فى وحدة سياسية واحدة، تتكون منها دولته الحديثة، فقد حان الوقت فى نظر محمد على ليترجم حلمه الى حقيقة.

وكان محمد على يطمئن الى الامير (خالد بن سعود) فى تحقيق ذلك المشروع الكبير، ولا يرتاح الى امراء الموحدين، ولعله كان على يقين من كرههم وعداوتهم له، فهم لن ينسوا اسقاط الدرعية، وما فعلته قواته ضدهم، وهذه غلطة، يتحمل مسئوليتها، محمد على باسم الدولة العثمانية بالدرجة الاولى، لان نتيجتها كانت - كما اثبتت الاحداث - لصالح انجلترا فى الخليج العربى.

فالمعروف ان الموحدين، كانوا يهدفون الى نشر الدعوة الوهابية التى تنادى بتنقية الاسلام من الشوائب التى علقت بمفاهيمه، والعودة الى بساطته الاولى - وكانوا يحاربون العرب وغير العرب من المسلمين، الذين يرون انهم - من وجهة نظر الموحدين - قد انحرفوا عن كتاب الله (١٢١)

وكانوا يحاربون الاتراك لا على

انهم اجانب يحتلون البلاد العربية، وانما باعتبارهم مسلمين، خرجوا على اصول الديانة الاسلامية الحقه، ومن ثم انهارت الحضارة الاسلامية فى عهدهم، وتفوقت عليها حضارة الغرب الاوروبى التى تخلو الى حد كبير من الجوانب الايمانية والاخلاقية، ومحاولاتها المتكررة فى غزو العالم الاسلامى بطريق او بأخر.

فاجتهد الموحدون لتصفية الادارة العثمانية من شبة الجزيرة العربية، ومحاولة تكوين وحدة سياسية منها، والتطلع الى العراق والشام وبلاد الخليج العربية[١٢٢] وبصفة عامة، كان الموحدون يسعون الى اعادة مجد الدولة الاسلامية من الناحية الدينية، معتمدين فى ذلك على اساس عربى فى المقام الاول[١٢٣]

وكان محمد على فى الدور الثانى من سياسته، يحارب الدولة العثمانية، ايضا، ولم تكن فى خطته ازالة الخلافة الاسلامية عن بنى عثمان، وانما حارب الدولة لاسباب تختلف عن الاسباب التى كانت لدى الموحدين.

فكان يرى ان الدولة العثمانية، قد شابها الهرم، واستنفدت كل مواردها المادية والمعنوية، وصارت عرضة للتفكك والتمزق من جانب الدول الاستعمارية[١٢٤] وان النجاة بالعالم الاسلامى ـ على الاقل ـ تعتمد على الاخذ باساليب الحضارة الاوروبية الحديثة، حتى يتمكن هذا العالم من مواجهة الدول الطامعة فيه بذات سلاحهم، اى بالحضارة الاوروبية الحديثة نفسها[١٢٥]

وبصفة عامة كان محمد على يحارب الدولة العثمانية، ولديه رغبة اكيدة فى اعادة مجد الدولة الاسلامية ايضا، لكن من الناحية السياسية، معتمدا فى ذلك على كل العناصر التى تخضع للدولة [١٢٦]

وكان يرى ان مصر فى ذلك الوقت هى المسئولة بحكم امكانياتها ومقدراتها، عن تكوين دولة حديثة، تضم البلاد العربية، لانسجامها من حيث اشتراكها فى اللغة فضلا عن عامل الدين الاسلامى.

لكن لا يجب ان ننسى او نتناسى، ان محمد على شخصيا كانت له مطامع سياسية من وراء ذلك، منها على الاقل ان يظل حكم دولته فى ذريته من بعده.

ومن هنا كان الاختلاف بين الموحدين ومحمد على، الذى كان ـ اى الاختلاف ـ من سوء حظ العالم العربى والاسلامى، لانه لو اتحد محمد على مع الموحدين، لكان من الممكن ان يعيدوا على الاقل ـ للعرب ـ مجدهم السابق، وان تتجدد الحضارة الاسلامية على اسس ايمانية واخلاقية، مع جوانب مادية حديثة ومتطورة، لاتتعارض مع جوهر العقيدة الاسلامية، خاصة اذا اخذنا

فى الاعتبار، ان الاسلام يحث على طلب العلم والاستزادة من المعرفة، حتى ولو كان اصحابها من غير ملة الاسلام[١٢٧]

على اية حال، بعد ان فشل الامير (فيصل آل سعود) فى اقناع محمد على، بالعدول عن محاربته، استنفر قومه، واعد كل ما يملك من عدد وعدة، لمواجهة عدوه، وفى الوقت نفسه، اخذ يتصل سرا، بوالى بغداد، (على باشا رضا) الذى كان يخشى هو الاخر، من تطلعات محمد على الى العراق والزحف عليه من الشام ثم الجزيرة العربية، فصار والى العراق يشجع الامير السعودى على مقاومة قوات محمد على، وافاده بانه على استعداد لمعاونته[١٢٨]

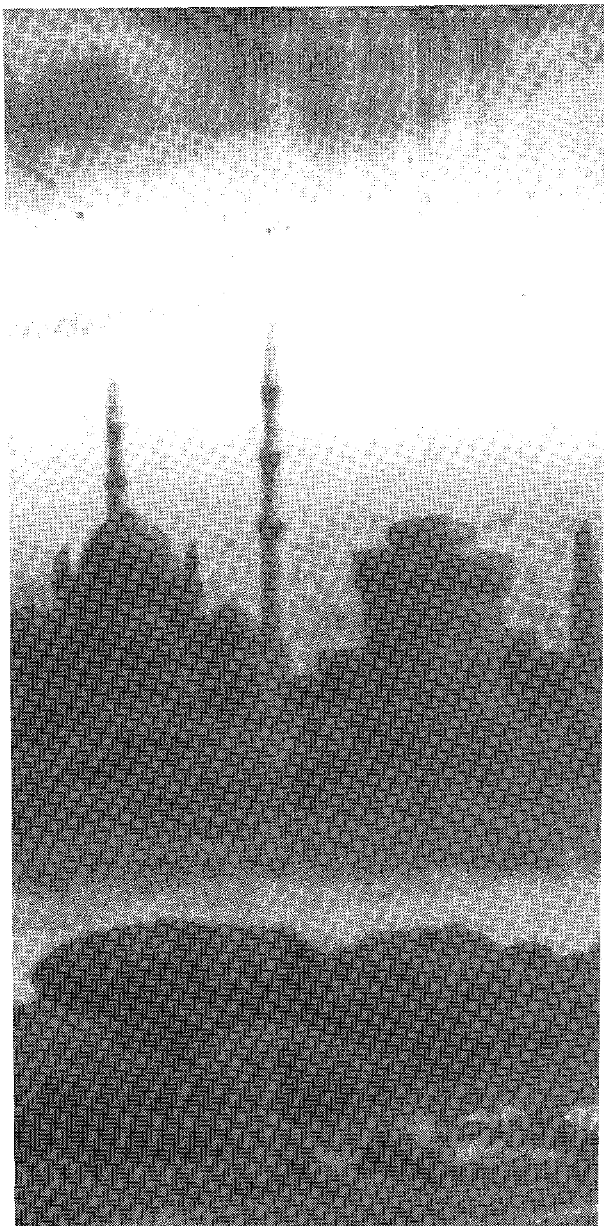
ويبدو ان الامير فيصل حقق بعض الانتصارات على اعدائه، ولكن سرعان ما تغيرت الظروف، حيث تولى قيادة الجيوش المصرية (محمد خورشيد باشا) فى مايو ١٨٣٨ بدلا من اسماعيل أغا[١٢٩]

وهنا ادرك الامير فيصل خطورة الموقف، نظرا لتولى خورشيد باشا القيادة الجديدة، فاستخدم مع هذا القائد الدبلوماسية، ريثما تصله المعونة من والى العراق، فارسل اليه اخاه (جلوى بن تركى) يرجوه عدم محاربته، وانه على اتم الاستعداد لتنفيذ كل طلباته[١٣٠]

ولكن يبدو ان محمد على، تبين ان موضوع نجد، ليس مجرد اسناد حكمه الى هذا او ذاك من ابناء سعود، وانما وجد ان الظروف وقتذاك، تتطلب من خورشيد، ان ينفذ مخطط القاهرة، لتكوين جبهة عربية قوية فى تلك المناطق، تعتمد عليها مصر للأسباب الاتية:

١ـ ان الدولة العثمانية صارت تتقرب اكثر الى الدول الاوروبية ـ خاصة انجلترا ـ للوقوف ضده ـ اى ضد محمد على ـ وعقدت مع الحكومة الانجليزية معاهدة تجارية فى ١٩ اغسطس ١٨٣٨ لابطال الاحتكارات التجارية فى ممتلكات الدولة، وكان من بينها، من الناحية الشرعية، على الاقل، حتى وقتذاك ، مصر وسوريا، وكان الهدف من وراء ذلك، مضايقة محمد على، وتضييق الخناق عليه اقتصاديا، لانه كان يحتكر تجارة الحرير فى سوريا ومعظم الحاصلات الزراعية فى مصر والسودان والبن فى اليمن.

٢ـ مواجهة تزايد التدخل البريطانى فى البحر الاحمر والخليج فقد تمكنت انجلترا من أن تعقد اتفاقا مع (محسن بن فضل) سلطان لحج فى ٢ فبراير ١٨٣٨، يقضى بان يتنازل السلطان عن (عدن) للانجليز فى مقابل بعض الاموال[١٣١]، وكان الهدف من وراء ذلك هو احكام السيطرة على



مداخل البحـر الاحمر من الجنـوب، حتى تقـطع الصلة بين هـذا البحر، الذى صار يخضع للسيادة المصرية وبين الخليج الذى اصبح محط انظار محمد على.

٣ـ لم يفت محمد على، مغزى محاصرة المثل الانجليزى له، للاستفسار عن مشاريعه المستقبلية، وكان يدرك جيدا ان ممثلى انجلترا فى مصر والخليج بل والعـراق، يـطلعـون رؤسـاءهم فى انجلترا والهند على اخبار التحـركات المصرية فى هذه الجهات.

موقف الانجليز:

كـانت انجلتـرا تـرحب فى قـرارة نفسها بسقوط الدرعيـة، وتفتيت قوة الموحدين، حتى لا يستفحـل امرهـا، وتصبح خطرا على وجودها فى الخليج ومصـالحها فى البحـر الأحمـر، ومن ناحية ثانية، حتى لا تتكون قوة عربية موحدة فى الخليج، مناهضـة للوجود والمصالح الانجليزية (١٣٢) خاصة اذا اخذنا فى الاعتبار، ان الموحدين، كانوا يعتبرون نشاط القوة العربية البحرية فى الخليج ضد السفن الاجنبية نوعا من الجهاد.

لذلك نرى ان انجلترا، لا تعترض على توسع محمد علي فى شبه جـزيرة العـرب على عهـد الدولة السعوديـة الأولى، بـل تحاول، سـواء كـان ذلك رغبـة، كما يقـول البعض، ام ستارا يخفى من ورائـه اهـدافـا معينـة، التعاون مع قوات ابراهيم باشا فى عام ١٨١٩، للقضاء على هذه القوة العربية البحرية فى الخليج (١٣٣)، طالما انه لم يظهر على سياسـة محمد عـلي، حتى ذلك الوقت (١٨١٩) مـا يشـير الى

مضـايقتها فى طرق مـواصلاتهـا الى الهند [١٣٤]

لكن حـين لاحظت اقتـراب محمد علي من الخليج، وتطلعه الى البصرة، بصـورة او بأخـرى، جن جنـونهـا، خاصة وان البحر الأحمر تحول الى ما يشبه البحيرة المصرية [١٣٥] فنظرت الى المسألة بقلق بالغ، خاصة وان دولة محمـد علي الحـديثة، صـارت تزداد توسعا وقـوة، يومـا بعد يـوم (مصر والسـودان وسـوريـا ومعـظم شبـه الجزيرة العربية) وبها من الامكانيات البشرية والاقتصادية والثقافية، مـا يجعلها تشكل قـوة لها وزنهـا دوليا، وكانت هناك فرنسا، المعروفة بعدائها التقليدى، لانجلترا، لاتـزال تتعاطف مع محمد علي وتشجعه فى مشـاريعه المختلفة [١٣٦]

ومن نـاحية اخـرى، لم تستبعـد انجلترا، ان يحدث تقـارب بين مصر وايران، فقد لاحظت ان العلاقـة بين محمد علي والشاه، كانت طيبة فى تلك الفتـرة [١٣٧] وقـد انعكست هـذه العـلاقة عـلى الحجاج القـادمين من ايـران والداغستان، لأداء فـريضـة الحـج، فى الحجـاز، فكـانت تصـدر الأوامـر من حين لأخـر، بمعـاملتهم معـاملة طيبة وكـريمة وتـوفير الأمن والطمأنينة وسبل الراحة لهم فى مكة او المدينة فى غدوهم ورواحهم [١٣٨]

ولا شك ان هؤلاء الحجاج، كانوا ينقلون صورة هذه المعاملة الى الأهالى فى بلادهم، الأمر الذى ترتب عليه ان ازدادت سمعة «محمد علي» فى الشرق الاسلامى.

لذلك رأت انجلتـرا، انـه اذا تم تعاون بين مصر وايران، فإنـه يزيـد المشكلة تعقيـدا، بـالنسبـة لأمـن المصالح البريطانية، ليس فى الخليـج فحسب، بل فى الشرق كله [١٣٩]

فصـارت تـرقب وتـرصـد وتحلل التحركات المصرية فى شرق الجزيرة العربية، من واقع التقارير، التى كان يرفعها، المسئولون البريـطانيون فى الخليج ومصر والعراق، فمثـلا ارسل المقيم البريطانى فى بغـداد كولونيـل «تايلور» الى مستر «بالمرستون» وزير الخارجية البريطانية، فى اواخر نوفمبر ١٩٣٧، يفيـده عن تحركـات القوات المصـريـة فى نجـد، وتقـدمهـا نحـو الاحسـاء والقطيف، للاستيـلاء على البحرين، وطارت اشاعـة ان القوات المصرية، تشمل عددا اكثر مما كـان معروفا فى البداية، فـأرسل «هينـل» المقيم البريطانى السياسى فى الخليج احد الطرادات الى البحرين، برسالة عاجلة الى الشيخ عبـدالله بن احمد، وبرسالة اخرى الى الوكيل البريطانى هنـاك، للافـادة عن صحـة هـذه الاشـاعة، وعن التحـركات المصـرية عموما، وتضمن رد حـاكم البحرين، بأن القوات المصـرية التى هـاجمت

الرياض تتألف من الف فارس والف من المشاه، وان هذه القوات وصلت الى ما وراء مدينة الرياض بمسيرة سبعة ايام او ثمانية، اما وكيل المقيم البريطانى فى البحرين، فقد حدد عدد القوات الراكبة بألف وخمسمائة، والمشاه بنحو خمسمائة، بقيادة اسماعيل أغا، وكان مع القوات اثنا عشر مدفعا من طراز مورتر، تحت اشراف «راشد باشا» وذكر ان قوات الاحتياط، كانت ترابط فى القطيف وتتألف من ٨٠٠٠ خيال بقيادة خورشيد باشا، وفى جميع المناطق الواقعة بين الرياض والمدينة، توجد حاميات عسكرية، مما يدل على ان هذا الجيش، يعتزم البقاء بصفة دائمة فى البلاد، واضاف الوكيل، ان الشيخ عبدالله بن احمد، كان قلقا من الهدف النهائى للحملة، وان اكثر ما يخشاه، ان يقوم تعاون بين محمد علي وسلطان مسقط، وذلك لاحتلال البحرين عن طريق الاسطول العمانى (١٤٠).

وفى اول ديسمبر ١٩٣٧، وصل الى «بالمرستون» تقرير آخر من الضابط «لينش» فى بغداد، يشير هو الآخر، الى مواصلة القوات المصرية زحفها صوب ساحل الجزيرة الشرقى، ويحلل «لينش» فى تقريره الموقف بقوله، ان من الصعب تحديد صورة الاوضاع الراهنة فى تلك المنطقة، ويمكن القول، انه لا توجد قوة، فيها، تستطيع التصدى لمحمد علي، او تضع حدا لمحاولته الرامية الى الاستعانة بالقبائل العربية فى العراق، لتحقيق اهدافها، ويرى ان التحركات المصرية، تتطلب اتخاذ قرار فورى، بشأن مصير الدولة العثمانية، ومدى تأثر المصالح الانجليزية المباشرة فى الهند، اذا استولى محمد علي، على مصبات انهار العراق وموانىء الخليج، فضلا عن سواحل البحر الأحمر، التى سمح له للأسف الشديد، كما يقول لينش باحتلالها، فقد كان من مصلحة محمد علي ان يستولى على هذه المناطق جميعها، لأن ذلك يعتبر امرا حيويا بالنسبة له فبجانب تدعيم موقفه، يمكنه ان يتحدى بريطانيا (١٤١).

فاضطر وزير الخارجية البريطانية، ان يرسل الى القنصل البريطانى العام فى مصر، المستر «كامبل» في ٨ ديسمبر ١٨٣٧، ليستفسر من محمد علي، عن وجهة الحملة المصرية، وهلى تنوى التقدم الى الخليج، والتدخل فى شئون بلاده، خاصة البحرين، وكان رد محمد علي، انه لا يفكر فى مد نفوذه على بلاد الخليج العربية، لأن محمد علي، كان يدرك مغزى هذه الاستفسارات وان القصد منها، هو معرفة خططه، وربما الضغط عليه للاقلاع عنها.

ويبدو انه كان على وعى جيد، فرأى ان انجلترا لن تكون متساهلة معه، وتسمح له، بالاستيلاء على الخليج،

كما حدث بالنسبة للبحر الأحمر، الذى خرج من قبضتها، بعد ان نشطت شركة الهند البريطانية فى تعاملها التجارى مع اهالى البلاد التى تشرف عليه [١٤٢].

ومن ناحية اخرى، لما كانت قوات خورشيد، تضيق الخناق على الموحدين، وتحاصرهم فى «دلم» (وهي من مدن اقليم الخرج بمنطقة امارة الرياض) ووجود ضغوط مصرية اخرى على العراق من جهات الشام، فقد ارسل السفير البريطانى «بونسنبى» فى ٣٠ اكتوبر ١٨٣٧ الى وزير الخارجية البريطانية «بالمرستون» يشير الى ان تقدم قوات محمد علي فى الشام، يحقق حلمه فى نهرى دجلة والفرات، والخليج، مما يؤثر على المصالح الانجليزية فى الهند بشكل مباشر [١٤٣].

والمعروف ان انجلترا كانت تولى اهتماما خاصا للأنهار التى تقع فى مستعمراتها، او التى توصل اليها، وذلك لانسياب الحركة التجارية وانعاشها، والتحكم فى مسار تلك الانهار بمفردها، حتى تستطيع ان يظل نفوذها فعالا عليها، فمثلا ارسلت بعثة استطلاعية برئاسة الكولونيل «شيزنى» (١٨٣٤ ـ ١٨٣٦) لدراسة مدى صلاحية انهار دجلة والفرات والدجيل «الكارون» للملاحة البخارية، وأجرت اتصالا مع الشيخ «جابر» امير المحمرة، للحصول على موافقته باستخدام نهر الدجيل «الكارون» للملاحة البخارية الانجليزية [١٤٤].

فحين اشارت تقارير ممثليها، بأن قوات محمد علي، سواء فى شرق الجزيرة العربية او فى الشام، تشكل خطورة، على طرق مواصلاتها الى الهند، زاد قلق الحكومة الانجليزية من نوايا محمد علي، ومشروعاته التوسعية، وباتت تعمل حساب ذلك، وصار تطلعه الى الخليج يشكل عبئا جديدا لسياستها الخارجية، بجانب عبء المقاومة، ضد روسيا، التى كانت تتطلع هى الأخرى اليه، للوصول الى الهند، وضرب الوجود الانجليزى فى الشرق.

فتحرك بالمرستون، وطلب من المستر كامبل فى القاهرة، ان يبلغ محمد علي بأسلوب مغلف بالضغط، ان الحكومة البريطانية، لا يمكنها ان تقف مكتوفة الأيدى، ازاء تطلعات محمد علي في الخليج والعراق [١٤٥].

وعندما دار الحديث بين محمد علي وكامبل، حاول محمد علي ان ينفى عن نفسه بأن له اطماعا فى العراق، وأما بالنسبة للخليج فقد اجاب محمد علي بأنه ليس من حق كامبل، التدخل فى هذا الموضوع، وان البلد الوحيد الذى يحق له التحدث فى ذلك، هو حكومة مسقط، وانه ـ اى محمد علي ـ يكن كل الاحترام والمودة لحاكمها السيد

سعيد، خاصة وانه اعلن عن رغبته فى ادخال الاصلاحات الحديثة الى بلده، وبالتالى فإن احتلاله - محمد علي - لمسقط، حتى لو تسنى له ذلك، فإنه لن يعود عليه بفائدة، لأن هذه البلاد تتمتع بحكم مستنير (١٤٦).

والواقع ان هذا الرد من جانب محمد علي، يحتاج الى مزيد من التحليل، فكان محمد علي يرى:

١ - ليس من حق الانجليز، ان يتكلموا ويتدخلوا فى شئون الخليج، باعتبار ان هذه القضية مسألة داخلية، وفى الامكان معالجتها - ان وجدت - دون تدخل من الخارج.

٢ - كان هذا الرد منطقيا الى ابعد الحدود، ويحمل فى طياته اتهاما مباشرا للانجليز الذين يقحمون انفسهم فى المنطقة لحاجة فى نفوسهم.

٣ - ليس الهدف من تطلعات محمد علي للخليج السيطرة او الاستعمار، وانما الهدف هو ادخال التنظيمات الحديثة، على بلاده العربية، كما صار يطبقها فى مصر والشام والحجاز والسودان.

٤ - وجود محمد علي فى الخليج، لن يفيده اقتصاديا، بقدر ما يفيد هو الخليج من ادخال المدنية الحديثة اليه.

٥ - تطلبت الضرورة من محمد علي، ان يضم بلاد الخليج العربية، بصورة او بأخرى فى وحدة واحدة، وربطها مع دولته، لابعاد الخطر الانجليزى عنها، وحتى لا تتحول الى هند اخرى.

لذلك عندما اخذت قوات خورشيد، تحرز الانتصارات على قوات الموحدين، واستسلم الأمير فيصل آل سعود الذى خذله والى العراق، حيث لم يرسل له الامدادات العسكرية والمعونة، التى سبق ان وعد بها (١٤٧) وبدلا من ذلك، ارسل اليه قبطان البصرة الحاج محمد قبودان (تركجة بيلمز) رسالة لا تتضمن اكثر من كلمات الاستنكار والشجب والتأييد المعنوى (١٤٨). لم يتردد محمد علي، فى ابلاغ الممثل الانجليزى فى القاهرة، بما وصلت اليه الأمور فى شبه الجزيرة العربية، فأخبره فى نهاية الأسبوع الثالث من مايو ١٨٣٨، ان قواته، صارت تسيطر على نجد، واخضعت شبه الجزيرة العربية، من مكة والمدينة الى الخليج، وان الأمير «فيصل بن تركى» اعترف بالولاء لحكومة القاهرة، واشترك فى مقاومة هؤلاء الذين لم يطيعوه، وتعهد بتقديم مساعداته ازاء القبائل فى عسير، بل وبإخضاع البصرة لحكمه اذا كان - اى محمد علي - راغبا فى ذلك (١٤٩).

وان دل هذا الأمر على شيء، فإنما يدل على ان محمد علي، بات يتكلم من موقع القوة، وان انتصاره فى شرق الجزيرة، اضاف اليه كسبا جديدا وزيادة فى انتشار سمعته، ليس فى

الخليج فحسب وانما فى العالم الاسلامى، وكان على انجلترا ان تعمل حسابها بدقة لتلك القوة الجديدة.

الموقف بعد سقوط دلم:

الواقع ان فترة حصار «دلم» كانت فترة عصيبة بالنسبة لخورشيد، فقد نفدت منه المواد التموينية او اوشكت على الانتهاء، وتقلصت كميات الذخيرة الى حد كبير، وصارت الأموال التى لديه قاصرة عن تغطية نفقات الجنود، فتطلبت منه الضرورة ان يستعجل النظر الى الاحساء والبحرين والكويت والبصرة والساحل العمانى ومسقط، اى الى بلاد الخليج العربية - ككل - للاعتبارات الآتية:

١ - الحصول على المواد الغذائية من تلك البلاد للقوات المسلحة.

٢ - كانت قوة محمد علي قد وصلت فى تلك الفترة الى درجة تمكنه من ربط هذه البلاد او ضمها الى الدولة الحديثة.

٣ - ربما تحدث ردود فعل مضادة، خاصة من قبل انجلترا، التى صارت تضيق ذرعا من تصاعد اسهم محمد علي فى العالم الاسلامى، فأراد محمد علي، ان يستعجل ويرتبط، وهو على تلك القوة التى كان عليها، مع بلاد الخليج العربية، بصورة او بأخرى، حتى يجعل كلا من انجلترا والدولة العثمانية امام الأمر الواقع.

فبعد هزيمة «عمرو بن عفيصان» عامل السعوديين فى الاحساء، وقبوله كلاجىء سياسى لدى الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة حاكم البحرين (١٥٠) صار هذا الاقليم مفتوحا امام خورشيد للسيطرة عليه ولينطلق منه الى الخليج.

فأستأذن هذا القائد حكومة القاهرة، بأنه يستعد لضم الاحساء وذلك بإعداد بعض الجنود وارسالهم قبل فوات موسم الشتاء، لان الطريق خلو من الماء، واضاف ان ميناء القطيف على مقربة من هذه الجهات، ومن ثم فهو فى حاجة الى سفينتين صغيرتين من السفن الموجودة فى جدة، وذلك لتسهيل جلب الذخيرة من جهتى البصرة والكويت، لشدة حاجة الجيش المصرى اليها (١٥١).

كما اوضح خورشيد لحكومته، خطورة الانجليز فى الخليج ومحاولاتهم الاستقرار فيه، ليصدوا التطلع الروسى الى فارس والخليج، حتى لا يتمكن الروس من الوصول الى الهند، عن طريقهما، وركز خورشيد حديثه حول البحرين، فبجانب مواردها الاقتصادية المتعددة من مصايد اللؤلؤ ومعادنها مثل سبائك الذهب الى بساتينها ونخيلها واشجارها وتمورها ومزارعها، بالاضافة الى مياه ينابيعها وعيونها العذبة (١٥٢) فقد وصفها خورشيد

بـأنها بمثـابة مفتـاح الخليـج، واذا استولت انجلترا عليها، فإن الجزيرة ستصير مثل جزيرة مالطة فى غضون خمس عشرة سنة (١٥٣).

وفى الوقت نفسه، كان خورشيد قد ارسل مندوبا الى زعماء اهل الاحساء يدعوهم الى الدخـول فى دائرة نفـوذ محمد علي، فـأسرعـوا بالاستجـابة، معبرين عن ولائهم لحكومة القاهـرة، وبهذا صارت الاحسـاء، كنجد تحت اشراف خورشيد (١٥٤).

وكان محمد علي فى هذه الفترة يقوم بزيارة للسودان، ليشاهد على الطبيعة مدى ما وصلت اليه البلاد من تقـدم اثر تطبيق النظم الحديثة فيها واناب عنه فى القاهرة «عباس بـاشا»، الذى اجاب خورشيد على مكاتبته السابقة (٢٠ ديسمبر ١٨٣٨) بأنه يفضل منح الاحساء الأمان والتقدم اليها سلما، والموافقة عـلى ارسال سفينتـين الى القطيف، طالما كان من المتعذر ارسال المؤن عن طريق المدينة المنورة (١٥٥)

وكان خورشيد من جانبه قد بدأ فى تنفيذ سياسة محمد عـلي الرامية الى الاصلاح وتطبيق الأساليب الحديثة المتـطورة، للنهـوض بـالبـلاد، التى ارتبطت بحكومة القاهرة، فعين «محمد افندى رفعت» حاكما على الاحسـاء، ليقوم بهذه المهمة. ويدبر اموره حتى وصـول السفن الصغيرة التى وافق عليها عباس باشا (١٥٦)

لكن سرعان مـا حدثت تـطورات دولية، اجبرت عباس باشا، على عدم ارسـال السفن الشراعيـة الى ميناء القطيف ، الأمر الذى جعل خورشيد يستشيـط غضبـا، نـظرا لحـاجتـه الشديدة الى الذخيـرة، فكتب بلهجة شديدة الى عباس باشا، يستفسر عن عدوله عن ارسال السفن، حتى يكيف نفســه مع الظروف التى يعيشهـا فى شرق الجزيرة (١٥٧)

والحقيقة ان خورشيد كان معذورا فى كتـابتـه الى عبـاس بـاشـا، بتلك الطريقـة، ولعله لم يـكن يـدرى ان الأمور فى الشام، كانت تزداد خطورة يوما بعد يوم، خـاصة بعـد ان عقد الباب العالى مجلسا حربيا، قرر فيـه تجهيـز جيش بقيادة «حـافظ بـاشا» لمنـازلة محمد عـلي، وتدخـل فرنسـا وانجلتـرا والنمسـا، لمنـع السلطان العثمـانى من تنفيذ ذلك، خـوفا من تدخل روسيـا، استنادا الى معـاهدة «هنكار اسكلسى» المبرمة بينها وبـين الدولة العثمانية فى ٨ يوليو ١٨٣٣.

وحين شعر «عباس باشـا» بمغبة الأمـور، ارسـل الى محمـد عـلي فى السودان يخبره بتلك التطورات، فعاد الأخير مسرعا الى القاهـرة فى مارس ١٨٣٩، ليقف بنفســه على مجـريات الأمور (١٥٨)

ويبدو ان خطورة الموقف فى الشام، تطلبت من محمد علي، ان يركز نشاطه

السياسي والحربى هناك، فحاول الرجل ان ينـال ضمـان الدول الأوروبيـة لمعـاهدة كـوتاهيـة، ثم معاونتهـا له للمفاوضة مع الباب العـالى، وكان فى الوقت نفسـه يعزز من قـواتـه التى احـرزت نصرا سـاحقا عـلى قـوات السلطان بقيـادة حـافـظ بـاشـا فى «نصيبـين» غرب نهـر الفـرات، رغم تحصينها الذى اشرف عليـه الالمان الذين كانوا يعملون فى خدمة الجيش العثمانى (١٥٩)

ومن ناحية اخرى، كتبت القاهرة الى خـورشيد فى الميـدان الشـرقى، توضح له تلك التطورات، وعدم قدرتها على ارسال السفن الشراعية الى ميناء القـطيف بسبب مـوقف الانجـليـز المتشدد ضد السياسة المصرية (١٦٠)

ونرى ان مسألة اقتـراب الوجود المصـرى من الخليج والعـراق، كان السبب الرئيسى فى تحـرك انجلتـرا المتزايد، فـاحتلت بالقـوة العسكريـة عدن فى ١٨ يناير ١٨٣٩، لتتحكم فى مداخل البحـر الأحمر من الجنـوب، ولتحـول دون اى اتصـال مصـرى بحرى منه الى الخليج، وبدأت تفكر فى ارسـال سفن مسلحـة الى البصـرة لابعاد اى نفوذ مصرى عنها (١٦١).

موقف الدولة العثمانية :

يتـطلب الانسجـام التـاريخي ، ان نطرح اولا سؤالا هو هل كانت توسعات محمد علي ، نوعا من الاستعمار ، الذي كانت تمارسه الدول الاوربية منذ بداية العصر الحديث ، ومن ثم صارت مصر ، في موضع الدول المتنـافسة ، شـأنها في ذلك شأن فرنسا مثلا ، ام ان المسـألة كانت لها ابعاد اخرى .

المـلاحـظ من سـير الاحـداث ، ان سياسة محمد علي ، لم تتجه الى تكوين مستعمرات في الخارج ، وانما اتجهت الى تحقيق مشروع وحدوي كبير وهذا فرق واضح بينها وبين سياسة الدول الاوربية التي كـانت تتجـه الى تمـزيق وتفتيت الكيانات الكبيرة .

فقد انحصرت معظم توسعات محمد علي في حدود الدولة العثمانية ، التي لم ينكـر - هو سيـادتها الشـرعية عليـه - وادخال المدنيـة الحديثـة اليها لتقـاوم المطامع الاجنبية بذات سلاح تلك المدنية وفي الوقت نفسه الاستفادة من التقـدم الاوربي ، مع المحافظة على جوهر الدين والتراث الاسلامي ، وكـان - أي محمد علي - قد وافق على ان تستفيد مصر من خـدمات جمـاعـة «سـان سيمـون» في مشروعاتها المختلفة ، حتى يتمكن من ان ينهض بها على اسس حديثة .

أي ان المسـألة كانت داخلية بحته ، والهدف منها ، بغض النظر عن مطامعه هو الذاتية ، العمل على تحـديث ولايات تلك الدولة، وتـطلبت الظروف ان تتسع نظرة مصر ، وقد وصلت الى درجـة من القـوة الى تلك البلاد التي تشـاركها في اعتنـاق الاسـلام واللغـة ، لتحميها من

الدول الاستعمارية المتربصة بها .

هذا في الوقت الذي نظر فيه الخليفة السلطان ، الى توسعات محمد علي ، على انها حركة انفصالية ، وكان في امكانه التفاهم معه ، بصورة او بأخرى ، ومن ثم يستفيد من مصر في تقوية دولة الخلافة نفسها ، ولكنه أي السلطان ركب رأسه وعزت عليه نفسه ، ان يرفع احد ولاته راية التمرد ضد الدولة العلية ، فأتاح الفرصة للتدخل الاجنبي في نزاع داخلي .

ومع ذلك نرى ان القضية كانت لها ابعاد اخطر من التدخل الاجنبي ذاته ، فنعتقد ان الهدف منه هو تفتيت أية وحدة عربية اسلامية ، خاصة اذا كانت قائمة من مصر ، فإذا كان القرن التاسع عشر قد شهد صحوة اسلامية هنا او هناك فان الغرب الاستعماري بأساليبه المختلفة لم يقف امامها مكتوف الايدي او يسمح بأن يتكرر تاريخ صلاح الدين الايوبي بطريقة او بأخرى ، فموقف انجلترا المتشدد من مصر الاسلامية الصاعدة والحالة هذه لا يدعو للدهشة ، وانما الدهشة تأتي من موقف الدولة العثمانية نفسها .

فالواقع ان تلك الدولة ، ارتكبت سلسلة من الاخطاء الفادحة منها :

اولا: مع الموحدين الذين نجحوا الى حد كبير في حركة توحيد شبه الجزيرة العربية وفرضوا عليها اسلوبا جديدا في الحياة والحكم ، ترتب عليه ان اخذ الناس يغيرون من سلوكياتهم القديمة ، وقد عبر عن ذلك الامير «عبدالله بن سعود» حيث كتب الى محمد علي يقول .. «اننا جاهدنا الاعراب حتى أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ، والزمناهم صيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنعناهم من ظلم العباد والسعي في الارض بالفساد ومن قطع سبل المسلمين»(١٦٢) وارسلت اليهم ـ أي الدولة العثمانية ـ محمد علي ، ليكسر قوتهم ، التي كان من الممكن ان تحد من نشاط الوجود الانجليزي في الخليج .

وثانيا : لعدم تفاوضها مع محمد علي ، والوقوف معا ضد مطامع الدول الاستعمارية ولم تأخذ من مسألة الجزائر مؤشرا لبداية سقوط املاكها بالتدريج في قبضة اعداء الاسلام .

فكان تمسك السلطان العثماني بكرسى العرش ، قد اعماه عن رؤية الحقيقة ، وهي ان اعداء الاسلام والمسلمين ، لن يرتاحوا لقيام قوة اسلامية ، ويعتبرونها في اي مكان خطرا عليهم ومن ثم يجب القضاء عليها .

والغريب حقا ، ان زعماء العالم الاسلامي ، وقتذاك لم يدركوا كنه سياسة الدول الاوربية ـ ككل ـ فرغم وجود عداوات بينها في بعض الاحيان الا انها سرعان ما كانت تضرب بعداواتها عرض الحائط وتنسى خلافاتها ، وتلتقي سياساتها في خط واحد ، لمناصرة احد شعوبها ، ضد الحكم الاسلامي ، فمثلا

تضامنت بعض الدول الاوروبية ، بغض النظر عن مذاهبها الدينية المختلفة ، ضد الحكم العثماني في اليونان عام ١٨٢٧ ، وعقدت في لندن بروتوكولا في ٣ فبراير ١٨٣٠ ، تقرر بمقتضاه ان تصير اليونان دولة مستقلة رغم انف الدولة العثمانية .

فكانت البلاد الاسلامية او على الاقل البلاد العربية في حاجة ماسة الى وجود مثل هذا التضامن ، للتصدي للاخطار المحدقة بها من جانب الدول الاوربية .

ولما كانت الدولة العثمانية قد وصلت الى هذه المرحلة من الضعف سواء فى جهازها الادارى او قواتها العسكرية، وكانت مصر الاسلامية، فى امكانها، ان تكون وحدة قوية ـ على الاقل ـ من البلاد العربية، لانسجامها من حيث اللغة والعادات والتقاليد والتاريخ، وكانت لا ترى بأسا من ان تظل فى اطار دولة الخلافة العثمانية، فهل من المنطق، ان ننساق وراء اعداء العرب والمسلمين، ونردد ان محمد على، كان هدفه من توسعاته، الاستعمار، ام ان الرجل بذكائه وبعد نظره، رغم انه غير عربى، كان هدفه التعمير(١٦٣) والتصدى لمطامع الاستعماريين الاوربيين.

ولعل ما جاء في تقرير (جون بورنج) الذى حضر الى مصر عام ١٨٣٧، وكتب عن احوال البلاد ما يؤيد رأى الباحث، فقد جاء فى ذلك التقرير، (.. كل من ينعم النظر فى محاسن مصر من دخل وفير ومحصولات جديدة، وقيام سياسة التسامح وانتشار التعليم وادخال فنون الحرب البرية والبحرية وتحسن المواصلات والعمل على تأمين السائحين، واحترام السلطات ومسلك الباشا نفسه، يستطيع ان يطنب فى مزايا هذا الجانب المضيء .. ولو حكمنا على احوال الشعب بمقياس حضارتنا وطبقا لنوازع الخير الذى يدعو اليها الدين المسيحى، لوجدناها جديرة بالأسى، غير اننا اذا وازنا بين ما تم فى مصر بعد كفاح فى سبيل الاصلاح وما تم فى اى بلد اسلامى اخر، انتهينا الى نتائج على اكبر جانب من الفائدة والاهمية(١٦٤) ...

محاولة خورشيد لتكوين وحدة من بلاد الخليج العربية:

تطلبت الامور من خورشيد، ان يبرهن لمحمد على، وهو فى تلك الظروف، انه جدير بتكليفه بمهمة فتح تلك الجهات، وتكوين وحدة منها، وربطها او ضمها الى حوزة الدولة الحديثة بشكل او باخر، وذلك بان يسرع فى اجراء عمليات التنسيق والحوار مع الزعماء العرب، على الساحل الغربى للخليج.

والواقع ان مسألة تطلع خورشيد الى بلاد الخليج العربية، أثارت عدة اراء لدى المؤرخين، فهل كانت بناء على خطة مرسومة فى القاهرة ام ان الظروف هى التى دعت خورشيد، ان يقوم بتحركاته

صوب الخليج العربى،

فيرى البعض ويرجح، ان المسألة كانت وليدة الظروف التى واجهت الحملة المصرية فى نجد، ويستندون الى اصرار خورشيد على الوصول الى بلاد الخليج العربية شمالا وجنوبا من البحرين، وفى الوقت نفسه لا ينفون فكرة ضرورة التواجد المصرى فى تلك الجهات منذ سقوط الدرعية(١٦٥).

والواقع ان مسألة الظروف لا تتعارض على الاطلاع مع وجود الفكرة اساسا فى سياسة القاهرة، فالمعروف تاريخيا، ان محمد على، كان يرسل قواته الى الجهة المراد فتحها، دون وضع خط جغرافى محدد او نقطة معينة، للوقوف عندها، فى بداية الامر، وانما كانت تحكم القادة، اعتبارات اخرى غير ذلك، فمثلا، حين تقدم الجيش المصرى لفتح السودان، لم تكن هناك نقطة محددة، للتوقف عندها، وكذلك الحال فى شبه جزيرة العرب، طالما لم تكن هناك عقبات، تدعو للتوقف، واذا كانت القوات المصرية قد انسحبت من الاحساء فى عام ١٨١٩(١٦٦)، ولم تكمل جولتها صوب الخليج، فقد حدث ذلك بناء على ظروف واعتبارات سبق واشرنا اليها.

اما فى هذه الجولة الثانية، فان الظروف تختلف كلية عن ظروف الجولة السابقة، فكان الهدف فى هذه المرة، هو تكوين جبهة قوية، تكون قادرة على صد المطامع الاستعمارية، وذلك بضم بلاد الخليج العربية، التى يمكن ان يفتحها قادة جيوش محمد على، سواء سلما او عن طريق القوة العسكرية، فكانت المسألة اذن، تتوقف على تقدير هؤلاء القادة، وان مهمة القاهرة فى كل الاحوال، هى ابداء المشورة، من منطلق ظروفها، والامداد بالتموين والسلاح.

لذلك نعتقد ان خورشيد باشا، جاء الى نجد وفى ذهنه فكرة الوصول الى بلاد الخليج العربية، لاكمال الدولة التى رسمها محمد على فى خطته السياسية ولوضع حد للتدخل الانجليزى المتزايد فى شئون تلك البلاد، وتدخل المسئولين الانجليز انفسهم فى ايجاد الحلول حول نزاعات المشايخ، وكانوا فى الحقيقة يرمون الى تمزيق المنطقة الى كيانات صغيرة وضعيفة(١٦٧)

وكان زمن الوصول الى تلك الجهات، يتوقف على ظروفه هو - اى خورشيد - من حيث وفرة مواد التموين والذخيرة، مع افادته القاهرة عن خطواته اولا بأول

ومن ناحية اخرى فان محمد على نفسه، لم يهمل مسألة الخليج، لاهميته فى تكوين دولته، رغم كل الظروف القاسية التى مر بها، وانما كانت هناك اولويات فى تنفيذ خططه السياسية، اجبرته الظروف والفائدة على اتباعها، والدليل على ذلك، انه رغم انشغاله فى حروب المورة، تدخل على الفور لمعالجة المشاكل بين سلطان مسقط ووالى العراق كما سبق واشرنا اليه.



على اية حال فى الوقت الذى اشتدت فيه الازمة بين محمد على والسلطان (عبدالمجيد) ووضح للعيان، ان محمد على، صارت له الكلمة العليا فى الدولة العثمانية، خاصة بعد ان سلم الاسطول العثمانى بقيادة (احمد باشا فوزى) نفسه لمحمد على فى مياه الاسكندرية بحجة ان استانبول اصبحت خاضعة لروسيا[١٦٨]، كان خورشيد فى شرق الجزيرة ينفذ سياسة القاهرة الرامية الى اصلاح البلاد وراحة العباد[١٦٩]، من ناحية، ويعمل على فتح قنوات الاتصال مع بلاد الخليج العربية للارتباط مع حكومة محمد على . من ناحية أخرى ، فكان ان توصل الى عقد (اتفاقية تعاون) مع حاكم البحرين فى اواخر مارس ١٨٣٩[١٧٠] ومن البحرين التى كانت تشكل فى نظرة ـ اى خورشيد ـ اهمية خاصة، نظرا لموقعها الاستراتيجى فى قلب الخليج، ومواردها الاقتصادية المتنوعة، بجانب امتلاكها اسطولا بحريا ممتازا، وفوق كل هذا وذاك تربص الانجليز وبعض القوى المحلية بها، امتدت تطلعاته منها الى الجنوب (الساحل العمانى ومسقط) والى الشمال (الكويت والبصرة)، وقد تمكن من ان يربط بعض هذه البلاد، بشكل او باخر مع دولة محمد على، وكان فى طريقه الى ان يكون منها ـ اى بلاد الخليج العربية. وحدة سياسية، تشكل الاقليم الشرقى لتلك الدولة، وبالتالى كان من الممكن ان يصير الخليج العربى كالبحر الاحمر فى قبضتها، خاصة وان العلاقات كانت ودية بين محمد على وشاه ايران فى ذلك الوقت.

ولعل ايران كانت ترحب بوجود محمد على فى الخليج، نكاية فى انجلترا التى كانت تتدخل فى امورها الداخلية من حين الى حين، من جانب، ولاشعار روسيا، التى كانت تتطلع اليها، بوجود قوة اسلامية قوية فى الخليج من جانب اخر.

ولكن سرعان ما تصادمت هذه الخطوات الوحدوية مع السياسة البريطانية، التى كانت تخشى على مشروعاتها فى الخليج ومصالحها فى الهند، فكان ان ازدادت - انجلترا - تقاربا مع الدولة العثمانية، ومع بعض الدول الاوروبية، خاصة النمسا، التى كانت تتشدد فى الحفاظ على النظم القديمة، وتمكنت انجلترا من تحطيم محمد على وابادة دولته عن طريق معاهدة لندن (١٨٤٠) وكانت القوات المصرية تنسحب للمرة الثانية والاخيرة من الجزيرة العربية، تاركة ساحة الخليج العربى للنفوذ الانجليزى،

وهكذا فشلت تطلعات محمد على للخليج العربى، بسبب موقف السياسة البريطانية اولا، وبسبب قصر نظر الدولة العثمانية وضعفها ثانيا.

ولكن رغم فشل التجربة، الا انها كانت على اى حال، بادرة لا بأس بها، احدثت شيئا من اليقظة الفكرية والوعى السياسى، كانت البلاد فى حاجة اليهما، وصارت بلاد الخليج العربية، رغم سقوطها فى قبضة الحماية البريطانية، تتلمس الطريق الى ايجاد نوع من الوحدة او الاتحاد يضم شملها.

الهوامش

١ ـ يشكل البحر الأحمر الذراع اليسرى للمحيط الهندى .
٢ ـ د. محمد متولى ود. محمود أبو العلا : جغرافية الخليج ـ الخليج العربى وخليج عمان ودول شرق الجزيرة العربية ـ ص١١ وما بعدها .
« الكويت ١٩٨٢ »
٣ ـ د. محمد رشيد الفيل : الأهمية الاستراتيجية للخليج العربى ص٣٦ ، الخليج العربى في مواجهة التحديات . «محاضرات الموسمين الثقافيين السابع والثامن ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ » مطبوعات رابطة الاجتماعيين بالكويت .
٤ ـ د. محمد متولى ود. محمود أبو العلا : مرجع سابق . ص ١٥ ـ ١٦ .
٥ ـ للمزيد عن العلاقات التجارية خاصة في العصور الوسطى أنظر :
د. أحمد عبدالحميد الشامى : العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى واثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى
« القاهرة ١٩٧٨ »
٦ ـ جذب موقع الخليج الاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ، ليقوم بحملة عسكرية ، لغزو جنوب العراق وايران والسند ، وكذلك جذب موقعه بالاضافة الى نشاطه التجارى ، دولة البرتغال في بداية القرن السادس عشر ، لتسيطر عليه وتحرمه هذا النشاط ، وذلك بتحويل تجارة الشرق الى أوربا عن طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الاطلسى ، الأمر الذى ترتب عليه ان تفتحت عيون الدول الأوربية على الخليج العربى ، خاصة انجلترا ، لكونه احد الطرق المؤدية الى الهند .
٧ ـ تأسست شركة الهند الشرقية «الانجليزية» بقرار صدر من الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا في ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ ، تضمن منح تلك الشركة امتياز التجارة في الهند والشرق ، وتعود علاقتها بالخليج منذ أيامها الأولى في الهند ، فصارت لها وكالات في ايران (١٦١٦) والعراق والخليج العربى ، تحولت في القرن الثامن عشر الى معتمديات ترعى الشئون السياسية ، الى جانب النشاط التجارى للشركة ، وصار ممثلوها في البلاد يحملون صلاحيات القناصل

ومراكزهم ، وكانت الشركات البريطانية وغيرها من الشركات الأوربية ، مقدمة للاستعمار ، فقد ورثت الحكومات الأوربية هذه الشركات ، ومن ثم فرضت الاحتلال رسميا على مستعمراتها ، ونرى هذه الصورة واضحة في آسيا وافريقيا ، أنظر :

د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي « القاهرة ١٩٧٤ »

د. شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها « القاهرة ١٩٧١ »

— Cambridge History of India vol. 1—V- edited by Dodwell- H.H- Combridge 1929.

— Panikar- K.M : Asia and Western. Calcutta 1953

٨ ـ للمزيد أنظر :

د. صلاح العقاد : معالم التغير في دول الخليج العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ـ جامعة الدول العربية .

٩ ـ للمزيد أنظر :

د. عبدالكريم غرايبه : قيام الدولة السعودية العربية . «القاهرة ١٩٧٤»

١٠ ـ د. حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث . ص١٩٢ وما بعدها .

١١ ـ للمزيد أنظر :

د. عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار حـ ٤ ص٩٧ وما بعدها «القاهرة ١٣٢٢هـ»

١٢ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وثيقة رقم (٥) بتاريخ ٨ شوال ١٢٢٢ هـ (الموافق ٩ سبتمبر ١٨٠٧) م دار الوثائق القومية بالقلعة ـ القاهرة

١٣ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وثيقة رقم (٧)بتاريخ ١١ محرم١٢٢٣ هـ (الموافق ٩ مارس ١٨٠٨) م

١٤ ـ وصف الجبرتي ، موكب الاسرى البريطانيين في القاهرة ، بعد هزيمتهم في معركة رشيد في ٣١ مارس ١٨٠٧ ، وصفا رائعا ، أنظر ، حـ٤ ص ٤٧ وما بعدها ، مرجع سابق .

١٥ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وثيقة رقم (٧٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ (الموافق ٢٩ اغسطس ١٨١١) م

١٦ ـ د. السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث . ص٢٤٩ وما بعدها «القاهرة ١٩٧٠» م

١٧ ـ حتى يكسر محمد علي تلك الزعامات ، نفى عمر مكرم نقيب الأشراف الى دمياط في ١٢ أغسطس ١٨٠٩ ، ودبر مذبحة القلعة في أول مارس ١٨١١ للتخلص من زعماء المماليك ، أنظر :

الجبرتي : مرجع سابق . حـ ٤ . ص٩٧ وما بعدها .

١٨ ـ يلاحظ ان المغرب الاقصى «مراكش» لم تخضع للدولة العثمانية ، وظلت مستقلة الى ان سقطت في قبضة الاحتلال الاسباني والفرنسي في عام ١٩١٢ .

١٩ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وثيقة رقم (٥٤) بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥ هـ

(الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨١٠) م

٢٠ ـ د. أحمد عزت عبدالكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث . ص٢٣١ وما بعدها . «بيروت ١٩٧٠» .

٢١ ـ د. أحمد عزت عبدالكريم : سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد على : مقال في كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ص٣٤٢ . «جامعة عين شمس القاهرة ١٩٨٠»

٢٢ ـ للمزيد أنظر :

Mohammed Sabry : L- Empire Egyptian
Sous Mohammed Ali et la Question d'orient, 1811 — 1848, Paris 1930

٢٣ ـ للمزيد أنظر :
د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : الدولة السعودية الأولى . ص٢٩٧ وما بعدها «القاهرة ١٩٧٥» .

٢٤ ـ عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي . ص١٠٩ وما بعدها «القاهرة ١٩٥١»

٢٥ ـ محفظة رقم (١) ذوات ، وثيقة رقم (٢) بتاريخ ١٢٢٦ هـ (الموافق ١٨١١) م

٢٦ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا ، وثيقة رقم (١٤٨) بتاريخ ٢١ رجب ١٢٣٠ هـ (الموافق ٢٩ يونيو ١٨١٥) م

٢٧ ـ دفتر رقم (١) معية تركى ، وثيقة رقم (٥٤) بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥ هـ (الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨١٠) م

٢٨ ـ محفظة رقم (٣) بحر برا ، وثيقة رقم (٨٢) بتاريخ محرم ١٢٢٧ هـ

٢٩ ـ الجبرتى : مرجع سابق . حـ ٤ . ص١٧٩ وما بعدها .

٣٠ ـ د. يونان لبيب رزق وآخرون : أوربا في عصر الرأسمالية . ص٢٧٥ «القاهرة ١٩٨٣»
وكذلك د. جلال يحيى : العالم العربى الحديث . ص٨٤ «الأسكندرية ١٩٧٤»

٣١ ـ الجبرتى : مرجع سابق . حـ ٤ . ص ١٨١ وما بعدها : هذا وقد قتل لطيف باشا ومن معه بعد ان حاول الهرب والاختفاء .

٣٢ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا ، وثيقة رقم (٣٥) بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠ هـ (الموافق ١١ سبتمبر ١٨١٥) م

٣٣ ـ د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : مرجع سابق . ص٣٢٢ وما بعدها

٣٤ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا ، وثيقة رقم (٦٤) بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٣١ هـ (الموافق ٢١ يوليو ١٨١٦) م

٣٥ ـ أشعل ابراهيم باشا النيران في الدرعية ولعل هذا كان بأوامر من الباب العالى ، وكان من بين شروط الاستسلام ، سفر الأمير عبدالله بن سعود الى القاهرة (١٦ نوفمبر ١٨١٨) ومنها الى الاستانة ، حيث لقى حتفه هناك ، أنظر :
د. صلاح العقاد : الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب ١٨١١ ـ ١٨١٨ . ص١٠٧ وما بعدها ، مجلة الخليج والجزيرة العربية ، العدد السادس

السنة الثانية ـ ابريل ١٩٧٦
٣٦ ـ محفظة رقم (٦) بحر برا ، وثيقة رقم (١١٧) بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٣٤ هـ (الموافق ١٣ سبتمبر ١٨١٩) م
٣٧ ـ للمزيد أنظر : عبدالرحمن الرافعي : مرجع سابق
٣٨ ـ محمد عبدالقادر الانصارى : تاريخ الاحساء . ص١٤٤ وما بعدها « الرياض ١٩٦٠ »
٣٩ ـ محفظة رقم (١) ذوات ، وثيقة رقم (٩٤) بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣ هـ (الموافق ١٣ يوليو ١٨١٨) م
٤٠ ـ ذات الوثيقة السابقة
٤١ ـ الانصارى : مرجع سابق . ص١٤٤ وما بعدها
٤٢ ـ كان ارحمة بن جابر الجلاهمة ، يمثل القوة العربية البحرية في الخليج المساعدة لابراهيم باشا ولقواته وقتذاك ، أنظر :
د. جمال زكريا : ارحمة بن جابر الجلاهمة . حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ١٩٦٤ .
٤٣ ـ د. عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص١٨٨ وما بعدها «القاهرة ١٩٦٨»
٤٤ ـ د. عبدالعزيز نوار : داود باشا . ص٢٣٠ وما بعدها «القاهرة ١٩٦٨»
٤٥ ـ د. جمال زكريا : الخليج العربى ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الأوروبى الأول . ص٤٥٨ . القاهرة ١٩٨٥
٤٦ ـ الانصارى : مرجع سابق . ص١٤٤ وما بعدها
٤٧ ـ د. مهدى جواد حبيب : الصراع العثمانى الفارسى وأثره على العراق حتى أواخر القرن التاسع عشر ـ ص٩٣ وما بعدها ـ الحدود الشرقية للوطن العربى ، دراسة تاريخية ، مجموعة أبحاث أصدرتها جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق « بغداد ١٩٨١ »
٤٨ ـ محفظة رقم (١) بحر برا ، وثيقة رقم (٤٩) بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٢٥ هـ (الموافق ١٩ سبتمبر ١٨١٠) م
٤٩ ـ د. تمام همام تمام : الرقيق والجندية في نظر محمد علي . ص١٢٨ ـ المجلة التاريخية المصرية «القاهرة ١٩٨٣»
٥٠ ـ ذات المرجع السابق . ص٣٠
٥١ ـ د. مكى شبيكه : السودان في قرن (١٨١٨ ـ ١٩١٩) ص١٢ وما بعدها «القاهرة ١٩٤٧»
٥٢ ـ د. راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية ـ المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . ص٩ وما بعدها « القاهرة ١٩٥٢ »
٥٣ ـ Dodwell- H. : The Founder of Modern Egypt- Study of Mohamed Ali. p. 50. Camb. 1931
٥٤ ـ د. السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث . ص٢٣٦ وما بعدها « القاهرة ١٩٧٠ »
٥٥ ـ د. عبدالعزيز الشناوى ود. جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث

والمعاصر . ص٥٥١ « القاهرة ١٩٦٩ »
٥٦ ـ عبدالرحمن الرافعي : مرجع سابق
٥٧ ـ د. أحمد عزت عبدالكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص٢٣٠
٥٨ ـ د. جلال يحيى : مصر الافريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ص٤٨ « القاهرة ١٩٦٧ »
٥٩ ـ د. عبدالرحمن زكى : أعلام الجيش والبحرية في مصر في القرن التاسع عشر جـ ١ ص ٣٥ وما بعدها «القاهرة ١٩٤٧»
٦٠ ـ د. تمام همام تمام : جهود محمد على للحد من انتشار تجارة الرقيق في السودان . ص٢٦ وما بعدها ، مجلة الدراسات الافريقية ـ العدد السابع ، جامعة القاهرة ١٩٧٨ .
٦١ ـ كان السودان مقسما الى عدة ممالك وسلطنات مثل سلطنة الفونج الزرقاء في سنار ، وسلطنة الفور في دار فور ، ومملكة تقلى في منطقة جبال النوبا غرب النيل ، وكانت المنطقة من أسوان حتى وادى حلفا «النوبة» ، تخضع لحكومة الكشاف الأتراك ، وخضعت سواكن ومصوع على البحر الأحمر للدولة العثمانية ، وكانت هناك في جنوب السودان ممالك وثنية تتمثل في الشلك والدنكا والبارى والنوير ، أنظر للباحث :
الرقيق والجندية في نظر محمد علي ، مرجع سابق . ص١٢٢ وما بعدها
٦٢ ـ د. شوقي الجمل : تاريخ سودان وادى النيل جـ ٢ ص٢٣ «القاهرة ١٩٦٩»
٦٣ ـ Burchardt- L. : Nots On the Bedouins and Wahabys- PP.251 — 252. London 1930
٦٤ ـ دفتر رقم (٤) معيه تركي : وثيقة رقم (٦٣) بتاريخ١٣ رمضان ١٢٣٦ هـ
٦٥ ـ Fortscue- J.W. : Ahistoy of the British Army- Vol.VP 17
٦٦ ـ Ghorbal, Shafik: The beginnings of the Egyptian question and the rise of Mehemet Ali. P. 156. "1928"
٦٧ ـ د. عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث (١٥١٧ ـ ١٨٤٠)
٦٨ ـ د. بدرالدين عباس الخصوصى : دراسات في تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر جـ ١ ص١٩٥ وما بعدها «الكويت ـ ١٩٨٤»
٦٩ ـ دفتر رقم (٧) معيه تركي ، مسلسل ٢٨٢ بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٣٦
٧٠ ـ د. مهدى جواد حبيب : مرجع سابق . ص٨٥
٧١ ـ د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربى . ص٩٩ وما بعدها «القاهرة ١٩٧٤»
٧٢ ـ Miles- S. B. : The Countries and Tribe of the Persian Gulf. P. 324. London 1919
٧٣ ـ محفظة رقم (٦) بحر برا ، وثيقة رقم (١١٥) بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٣٤ هـ (الموافق ١٣ سبتمبر ١٨١٩) م
٧٤ ـ محفظة رقم (٧) عابدين ، وثيقة رقم (٢٠٩) بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٢٣٥ هـ/ ٣١ مارس ١٨٢٠ ، نقلا عن د. عبدالرحيم عبدالرحمن ، من وثائق

شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي المجلد الأول ص٤٧٦ وما بعدها ، الدوحة ١٩٨٢

٧٥ ـ د. جاكلين اسماعيل : سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر . ص١١ وما بعدها ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد السادس عشر ـ السنة الرابعة ـ جامعة الكويت

٧٦ ـ محفظة رقم (٧) عابدين ، ذات الوثيقة السابقة

٧٧ ـ د. عبدالعزيز نوار : داود باشا . ص٢٣٠ وما بعدها « القاهرة ـ ١٩٦٨ »

٧٨ ـ د. صلاح العقاد : مرجع سابق . ص١٠٣

٧٩ ـ كان ارحمة بن جابر ، على عداء مع حكام البحرين ، ومن ثم رفض ان يوقع على معاهدة السلام العامة (١٨٢٠) حتى لا تحد من تصرفاته العدائية في المنطقة .

٨٠ ـ للمزيد عن القواسم أنظر : صالح محمد العابد : دور القواسم في الخليج العربي «بغداد ـ ١٩٧٦»

٨١ ـ جون. ب. كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ـ الجزء الاول ترجمة محمد أمين عبدالله . ص٨١ وما بعدها . سلطنة عمان ١٩٧٩

٨٢ ـ للمزيد عن أرحمة بن جابر أنظر :
د. جمال زكريا : حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ـ القاهرة ١٩٦٤

٨٣ ـ Arabian Gulf Intelligence,
Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856, Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muskat, PP. 191-192

٨٤ ـ كيلى : بريطانيا والخليج .. مرجع سابق حـ ١ ص٤٦٢ وما بعدها

٨٥ ـ قامت في هذه الولاية العثمانية ثورة ضد الحكم التركي في عام ١٨٢١ وأعلن اليونانيون استقلالهم في ١٨٢٢ ، فطلب السلطان العثماني الى محمد علي حاكم مصر ، القضاء على هذه الثورة ، واستجاب محمد علي لطلب السلطان ، ودخل هذه الحرب البعيدة عن الميدان العربى ، واستمرت الحرب في كريت والمورة حوالى سبع سنوات (١٨٢٢ ـ ١٨٢٨) خسرت مصر خلالها اسطولها الحربى وحوالى ثلاثين الفا من الجنود وما يقرب من مليون جنيه ، تكاليف ومصروفات الحملة ، وانتهت بنزاع مرير مع السلطان العثمانى ، استهل به محمد علي الدور الثانى من سياسته الخارجية .

٨٦ ـ Historical Sketeh ... OP. Cit- Muskat- P.192

٨٧ ـ د. جمال زكريا : الخليج العربى .. مرجع سابق ص٤٥٩ ـ ٤٦٠

٨٨ ـ Historical Sketck ... OP. Cit- Muskat- P.195

٨٩ ـ د. عبدالعزيز نوار : التأثير الاستراتيجى والسياسى المتبادل بين منطقتى البحر الاحمر والخليج العربى في النصف الأول من القرن التاسع عشر . ص٢٥٠ ـ البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة ١٩٨٠ .

٩٠ ـ أمين الريحاني: نجد وملحقاته ص ٩١ وما بعدها «بيروت ١٩٧٢» وللمزيد عن تاريخ الاحساء انظر:
د. محمد عرابى نخلة: تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨ ـ ١٩١٣ «الكويت ١٩٨٠»
٩١ ـ عبدالرحمن الرافعي: مرجع سابق
٩٢ ـ دفتر رقم (٤٠) معية تركي، وثيقة رقم (٤١٢) ووثيقة رقم (٤١٣) بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٤٦هـ (الموافق ١٨ اغسطس ١٨٣٠)
٩٣ ـ د. زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث ص ٣٤٢ وما بعدها «بيروت ١٩٧٥».
٩٤ ـ عبدالرحمن الرافعي: مرجع سابق.
٩٥ ـ ترتب على علاقة فرنسا بمحمد علي، دعوتها اليه ليرسل حملة عسكرية لفتح الجزائر لحسابها، ونظرا لفشل المشروع، ارسلت حملتها منفردة واستولت على الجزائر في عام ١٨٣٠.
٩٦ ـ يقال ان غرض ابراهيم باشا كان الدخول الى القسطنطينية، لانزال السلطان محمود الثاني عن العرش، والتوصل الى شروط للصلح في مصلحة محمد علي.
٩٧ ـ India office, Factory Records, From Farren to Secret Committee, 2 — 5 — 1832, Persia and the Persian Gulf, Vol. 47. PP. 247 — 266
٩٨ ـ دفتر رقم (٤٠) معية تـركي، وثيقة رقم (٨٢٣) بتـاريخ ٩ صفـر ١٢٤٨ هـ (الموافق ٨ يوليو ١٨٣٢م).
٩٩ ـ كيلي: مرجع سابق. جـ ١ ص٤٦٦
١٠٠ ـ جورج يانج: تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل، تعريب علي احمد شكري «القاهرة ١٩٣٧».
١٠١ ـ اقنعت روسيا السلطان العثماني، ان كيان دولته يتـوقف على مسـاعدة روسيا له، ومحالفتها اياه، وتمكنت في ٨ يونيو ١٨٣٣ من ابرام معاهدة (هنكار اسكلسى) مع الباب العالي، وهي معاهدة هجومية دفاعية لمدة ثماني سنوات، وكانت سرية وبـدون علم الدول الاخرى، وقـد ترتب عـلى هذه المعاهدة، ان بدأت روسيا عهدا جديدا في سياستهـا ازاء تركيـا والمسألة الشرقية بصفة عامة، فتحولت سياستها الراميـة الى تقسيم تركـة الرجل المريض صراحة الى بسط الحماية الروسية عليها، وقد ترتب على ذلك متاعب جديدة في افق السياسة الدولية، احدثت آثارا هامة في السياسة المصرية. هذا وقد حقد بالمرستون على حاكم مصر الذى كان السبب في اعطاء الروس هذه الفرصة.
١٠٢ ـ كيلي: مرجع سابق. جـ ١ ص ٤٧٥ ـ ٤٧٧.
١٠٣ ـ يلاحظ ان تجربة تجنيد السودانيين في الجيش الحديث لم تنجح، ومن ثم لجأ محمد علي الى تجنيد ابناء الفلاحين المصريين، فصاروا يؤلفون الجيش النظامي، الذى انتظمت به وحدات من السودانيين.
١٠٤ ـ للمزيد انظر د. محمد فـؤاد شكرى واخـرين: بنـاء دولة مصر محمـد علي (السياسة الداخلية) «القاهرة ١٩٦٧».
١٠٥ ـ كيلى ج. ب: الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، تعريب خيرى حماد

ص٩٧ وما بعدها «بيروت ١٩٧١» وكذلك بريطانيا والخليج حـ ١ ص٣٨٢ - ٣٨٣ وكذلك د. صلاح العقاد: التيارات السياسية.. مرجع سابق ص ١٢١ وما بعدها.

١٠٦ - Arabian Gulf Intelligence. Selections From the Records of the Bombay Govermment. New Series. NO.X X IV. 1856. Histoical Sketch of the Wahabee of Arabs. p p. 437 — 438.

١٠٧ - Ibid. pp. 438 — 439

١٠٨ - للمزيد انظر: عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد حـ ٢ . ص٥٠ وما بعدها «الرياض»

١٠٩ - محمد بن خليفة النبهاني: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص١٥٥ وما بعدها «مصر ١٣٤٢ هـ»

١١٠ - Historical Sketch.. op. Cit Muskat pp 207 — 208

١١١ - د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا: زنجبار «القاهرة ١٩٥٩».

١١٢ - Kelly. j. b. Britain and the Persian Gulf. p. 289 London 1968

١١٣ - Historical Sketch ... op. Cit. Wahabees pp. 439 — 440.

١١٤ - Histoical Sketch... op. Cit. Wahabees. pp. 443 — 444.

١١٥ - كيلي: مرجع سابق، حـ ١ . ص٤٠٦ - ٤٠٧.

١١٦ - لوريمر: دليل الخليج: حـ ٣ . ص ١٤٣٦ - القسم التاريخي «طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر».

١١٧ - د. جمال زكريا: الخليج العربي «دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤» ص ٦٥ وما بعدها «القاهرة ١٩٦٦»

١١٨ - Arabian Gulf Intelligence. Selections From the Records of the Bombay Vernment. New Series. No. X X I V. 1856. Historical Sketch of Uttoobee Tribe of Arabs; Bahrain p. 386

١١٩ - كان الأمير خالد بن سعود من اكبر الذكور الأحياء من اخوة الأمير عبدالله ابن سعود آخر امراء الدولة السعودية الأولى، وكان ابراهيم باشا اصطحبه معه بعد سقوط الدرعية، فعاش في مصر حوالى ثمانية عشر عاما

١٢٠ - Histocal Sketch.. op. Cit. Wahabees pp. 443 — 444

١٢١ - للمزيد انظر عرض المملكة العربية السعودية، حـ ١ «القاهرة ١٩٥٥»

١٢٢ - انظر على سبيل المثال.
السالمي «ابى محمد عبدالله بن حميد بن سلوم» تحفة الأعيان بسيرة اهل عمان حـ ٢ ص١٥٧ وما بعدها «القلعة بمصر بدون تاريخ

١٢٣ - د. جلال يحيى: العالم العربي «المدخل» ص٨٤ الاسكندرية ١٩٧٤

١٢٤ - Saab, H : Arab Federalists of the Ottoman Empire. p. 165 «1958»

١٢٥ - Ibid: pp. 140 — 150

١٢٦ - د. جلال يحيى: مرجع سابق ص ٨٤

١٢٧ - انظر للباحث: الاستعمار والثقافة الاسلامية، سلسلة مقالات منشورة في مجلة الهداية الاسلامية في عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٦ - وزارة العدل والشئون

الاسلامية ـ دولة البحرين.
١٢٨ ـ محفظة رقم (٢٦٤) ترجمة الوثيقة رقم (٢٦١) حمراء، بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٥٣هـ.
١٢٩ ـ عثمان بن بشر: مرجع سابق. حـ ٢ . ص١١ وما بعدها.
١٣٠ ـ محفظة رقم (٢٦٤) صورة الوثيقة العربية المؤرخة في ٢٩ محرم ١٢٥٤ هـ.
١٣١ ـ نظرا لمعارضة ابن السلطان للاتفاقية وتأثيره على والده، انتهى الأمر بأن احتلت القوات البريطانية بالقوة عدن في ١٨ يناير ١٨٣٩ قبل وصول القوات المصرية اليها، للمزيد انظر: د. فاروق اباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر (١٨٣٩ ـ ١٩١٨) «القاهرة ١٩٧٦»
١٣٢ ـ د. صلاح العقاد: معالم التغير في دول الخليج العربي ـ الفصل الأول.
١٣٣ ـ B.J. Kelly: Britain and the persian gulf. PP. 134 — 149 — london 1968.
١٣٤ ـ تغاضت انجلترا في البداية عن توسع محمد علي في الشام، طالما ان ذلك لا يمس امن مواصلاتها الى الشرق، ولأن مسألة الحفاظ على املاك الدولة العثمانية، كان الهدف منه اساسا ان تضمن طرق تلك المواصلات تحت اشراف دولة ضعيفة مثل تركيا وقتذاك، وفي الوقت نفسه ابعاد روسيا من الاقتراب من هذه الطرق، والا لماذا تغاضت انجلترا عن احتلال فرنسا للجزائر في عام ١٨٣٠ ، وكانت هذه ولاية عثمانية، ولعل الاجابة ايضا هي بعد الجزائر عن طرق مواصلاتها الى الهند.
١٣٥ ـ د. حسين مؤنس: الشرق الاسلامي في العصر الحديث ص ١٦٦
١٣٦ ـ جورج يانج: مرجع سابق ص ٥٨
١٣٧ ـ F. O .78 — 233 — Ellis: Memmorandum on Moh. Ali: Pasha of Egypt. 9 —1 , 1833
١٣٨ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا، وثيقة رقم (١٣١) بتاريخ ٣ شوال ١٢٣٢ (الموافق ١٦ اغسطس ١٨١٧)
١٣٩ ـ F. O. 78 — 25B Copy of a translation of a persian letter from his Magesty theKing of persia to his E. MHO. ALI Pasha of Egypt July 1833
١٤٠ ـ كيلي: بريطانيا والخليج.. مرجع سابق حـ ١. ص٥٠٣ ـ ٥٠٤ .
١٤١ ـ ذات المرجع ص٥٠٥
١٤٢ ـ Hill. R: Egypt in the Sudan 1820 — 1881 p. 8 London 1959
١٤٣ ـ د. عبدالحميد البطريق: مرجع سابق. ص ٥٧ وما بعدها
١٤٤ ـ د. مهدي جواد حبيب: مرجع سابق. ص١٠٢ ـ ١٠٥ هذا وقد استبدلت اسم المحمرة الى خورمشهر، بعد احتلال الفرس لعربستان ، ذات المرجع ص ١١٢
١٤٥ ـ د. بدر الدين الخصوصي : مرجع سابق حـ ١ . ص٥٠٦
١٤٦ ـ كيلي : بريطانيا والخليج .. مرجع سابق جـ ١ ص ٥٠٦

١٤٧ ـ محفظة رقم (٢٦٤) عابدين، رقم الوثيقة (٢٦١) حمراء، المرفق العربى (هـ) بتاريخ ٢٣ شعبان ١٢٥٣ (٢٢ نوفمبر ١٨٣٧) نقلا عن د. عبدالرحيم عبدالرحمن ، من وثائق شبه الجزيرة العربية .. المجلد الأول ، مرجع سابق . ص٥٨٢

١٤٨ ـ محفظة رقم (٢٦٤) وثيقة رقم (٤٨) حمراء (٩) اصلية، بتاريخ رجب ١٢٥٤ (اكتوبر ١٨٣٨).

ويلاحظ انه بعد سقوط دلم، ارسل الأمير فيصل الى القاهرة تحت قوة السلاح في ديسمبر ١٨٣٨ أنظر :

Historical Sketch... op. Cit. Wahabees pp. 445 — 447

١٤٩ ـ د. الخصوصي : مرجع سابق ص١٣٢

١٥٠ ـ Historical Sketah... op. Cit. — Wahabees. p. 445 ، ، وكذلك لوريمر: حـ ٣ .ص١٤٣٧.

١٥١ ـ محفظة رقم (٢٦٤) وثيقة رقم (٥٨) أصلية ، (١١) حمراء بتاريخ ٤ شوال ١٢٥٤ هـ (الموافق ٢٠ ديسمبر ١٨٣٨م

١٥٢ ـ محمد بن خليفة النبهاني : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص١٣ وما بعدها «ط٢ مصر ١٣٤٢ هـ

١٥٣ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤٠) اصلية، (١٠) حمراء بتاريخ ٢٩ رمضان ١٢٥٥ هـ (الموافق ٢٧ فبراير ١٨٣٩).

١٥٤ ـ عثمان بن بشر : مرجع سابق جـ ٢ ص ٨٠ وما بعدها .

١٥٥ ـ محفظة رقم (٢٦٤) وثيقة رقم (١١) بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٢٥٤ (الموافق ٢٨ يناير ١٨٣٩) .

١٥٦ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (١) اصلية، (٦) حمراء بتاريخ ١٧ محرم ١٢٥٥ (الموافق ٢ ابريل ١٨٣٩)

١٥٧ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٢) اصلية، (٣٧) حمراء بتاريخ ٢٩ محرم ١٢٥٥ هـ (الموافق ٤ ابريل ١٨٣٩).

١٥٨ ـ كان محمد علي قد بلغ سن السبعين عاما تقريبا وقتذاك، ويقول الاخوة السودانيون، ان محمد علي كان يريد ان يتعرس «يتزوج» من احدى السودانيات.

١٥٩ ـ قبل ان تصل اخبار هزيمة الجيش التركي الى القسطنطينية، كان السلطان محمود الثانى، العدو التقليدى لمحمد علي، قد توفاه الله في ٢١ يونيو ١٨٣٩، وخلفه علي العرش إبنه عبدالمجيد الذى كان شابا لا يتجاوز عمره السادسة عشرة .

١٦٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤) اصلية، (٣٨) حمراء بتاريخ ١٩ محرم ١٢٥٥هـ (الموافق ٤ ابريل ١٨٣٩.

١٦١ ـ د. عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث . ص ٢١٨ (القاهرة ١٩٦٨)

١٦٢ ـ د. عبدالكريم غرايبة: قيام الدولة السعودية العربية القاهرة ١٩٧٤

١٦٣ ـ Taynbee. A: A Study of Histoy vol 111 p. 247 «1951»

١٦٤ ـ انظر ترجمة التقرير في: د. محمد فؤاد شكرى واخـرون : بناء دولة مصر محمد علي ص ٣٣٧ وما بعدها «القاهرة ١٩٤٨».

١٦٥ ـ د. عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث ص ٢١٥، وكذلك د. الخصوصى : مرجع سابق . ص١٣٤ وما بعدها

١٦٦ ـ للمزيد عن تاريخ الاحساء انظر: د. محمد عرابى نخلة: مرجع سابق ص ٣٥ وما بعدها

١٦٧ ـ كالفن هـ آلن: اسلوب المصالحة البريطانية واثره في تجزئة امارات الخليج «دراسة لوضع دبى بين ١٨٣٣ ـ ١٨٥٣» ص٦٩ وما بعدها مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الحادى عشر السنة الثالثة يوليو ١٩٧٧.

١٦٨ ـ د. ياسين عبدالكريم : اتفاقيات الحدود الشرقية الى نهاية القرن التاسع عشر ـ الحدود الشرقية للوطن العربى.. مرجع سابق ص ٢٠٧ وما بعدها.

١٦٩ ـ د. عبدالحميد البطريق: مرجع سابق: ص ٥٧ وما بعدها، وينطبق معنى هذه العبارة بصورة واضحة وادق في السودان، انظر للباحث: جهود محمد علي للحد من انتشار تجارة الرقيق مرجع سابق.

١٧٠ ـ نظرا لاهمية هذه الاتفاقية، سيفرد الباحث لها دراسة خاصة بمشيئة الله .